رواية المدينة الفاسدة بين فاعلية التلقي واختبار الأدوات*

The Corrupt City Novel: Between the Effectiveness of Reception and the Testing of Tools

د. ممدوح فرّاج النّابي [1]
كليّة الإلهيات، بجامعة رجب طيب أردوغان (تركيا)
mamdouh.farrag@erdogan.edu.tr

ملخص :
الديستوبيا هي مدينة فاضلة، ولكن نقيضة تمامًا؛ إذْ تعاني خللاً وظيفيًّا، ومن ثمّ حلّت مع القرن العشرين محل المدينة الفاضلة، والديستوبيا تشير إلى مجتمع (خيالي أو واقعي) فاسد مخيف أو غير مرغوب فيه، يقع في المستقبل التأمُّلي، تميّز بالتجرّد من الإنسانيّة، وسيطرة الحكومات الشموليّة، مجتمع يُعاني من الفقر والتلوث والانهيار المجتمعي والقمع السياسي. ومن جانب ثانٍ هي إحدى التجليات التي انعكست عليها سمات رواية ما بعد الحداثة، بصورة لافتة، وإن كان ثمة إرهاصات مبكرة أكدت حضور رواية المدينة الفاسدة في السردية العربية، قبل مرحلة الربيع العربي التي ربط الكثير من نقادها شيوعها إليها، وقد كشفت نماذجها - وهي إحدى إيجابياتها - عن تفاعل الرواية مع السياق السياسي المُنتجَة فيه، إضافة إلى أنها استكشفت مناطق جديدة لم تطرقها الرواية التقليدية، باستشرافها للمستقبل، والتنبؤ بالمخترعات، ومآلات مصير البشر بفعل الاستخدام المفرط للتكنولوجيا.
وتعدُّ رواية المدينة الفاسدة واحدة من الظواهر الإبداعيّة التي حظيت – في الآونة الأخيرة - باهتمام كبير من قبل الكُتّاب والنقاد على حدٍّ سواء، تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف الجهود النقدية التي أولت رواية الديستوبيا عناية خاصّة، في محاولة لتقييم هذه الدراسات، ومعرفة المنهجيّة التي سارت عليها في استكشاف جماليات الرواية، وطرائق تشكيلها، ومدى قدرة الروائيين على معالجة التيمات الأساسيّة التي انشغلت بها الرواية، وهي تبحث عن خصوصيتها، وسط الأنواع السائدة، في مقابل محاولات النُّقاد استقصاء وحصر هذه التيمات في عناصر ثابتة، على الرغم من اختلاف حضورها بين رواية وأخرى.
وقد توصلت الدراسة إلى عديد من النتائج من أبرزها، أن الدراسات لم تتوقف عند مفهوم خاص بالديستوبيا وإنما اعتمدت على المفاهيم الغربية، وكذلك افتقار الدراسات لمصادر أصلية، والاعتماد في الممارسة التطبيقية على مفاهيم الرواية الكلاسيكية.

الكلمات المفاتيح: رواية الديستوبيا، النقد، التكنولوجيا، جماليات الرواية، المنهج، طرائق التشكيل.

Abstract:

*

تاريخ استلام البحث: 2024/12/01	تاريخ قبول البحث: 2025/03/21	تاريخ النشر:15/ 05/ 2025

Dystopia is a virtuous city, yet it is extremely contradictory; as it suffers from a deep functional defect, hence it replaced utopia in the twentieth century. Dystopia refers to (a real or an imaginary) corrupt, terrifying or undesirable society, located in the speculative, characterized by dehumanization and the dominance of totalitarian governments; a society which suffers from poverty, pollution, social deterioration and political suppression. On the other hand, dystopian fiction represents one of the clearest manifestations of the post-modernization novel aesthetics. Although dystopian themes appeared in Arabic fiction prior to the Arab Spring—which a lot of critics related its popularity to that genre of the novel. Some models unveiled the interaction of the novel with the political context in which it was written. Furthermore, it explored new areas which the traditional novel did not approach through its predicting of the future, the inventions and the destinies of human beings as the result of the overuse of technology.

Dystopia is one of the creative phenomena that have received which, in the recent years, a significant interest from both writers and critics. This study seeks to explore the critical efforts that have paid special attention to the dystopian novel , trying to evaluate these studies and to identify the methodologies employed in exploring the aesthetics of the novel , the ways of its formation and the ability of the novelists to handle the themes on which the novel focused through its research for its peculiarity among the dominant genres; in contrast to critics' attempts to limit these themes in fixed elements , despite its variance of presence form one novel to another. The study reached several conclusions, the most notable of which is that studies did not stop at a specific concept of dystopia, but rather relied on Western concepts. Furthermore, studies lacked original sources and relied in practical application on concepts from classical novels.

Keywords: dystopia – criticism – technology – aesthetics of novel – method – ways of formation

"كل انحطاطٍ يُصيبُ السلطة، إنما هو دعوة مفتوحة للعنف"

(حنة آرندت، في العنف)

"... لا نريد أن نحيا في يوتوبيا، تلك المروج التي تقع تحت الأرض، ولا على جزيرة سرية يعلم الله وحده أين تكون، بل في هذا العالم نفسه، الذي هو عالمنا أجمعين، هذا المكان الذي نجد فيه سعادتنا في آخر المطاف، أو لا نجد شيئًا على الإطلاق"

(وليم وردزورث)

مقدمة:

حظيت رواية المدينة الفاسدة أو الديستوبيا بأهمية كبيرة في العالم العربي، وتحديدًا بعد أحداث الربيع العربي، واتساع الفجوة بين متطلبات الشعوب التي خرجت في الميادين، وضيق سقف السّلطة الحاكمة المتطلبات، فكشفت الثورات العربيّة عن غياب حقيقي لمفهوم الحرية وقريناتها كالديموقراطية والليبرالية والعدالة وغيرها من مفاهيم نشدتها حركات التحرّر مع مطلع القرن الماضي، خاصّة بعد الاطلاع على تجربة الغرب والثمار التي أحدثتها هذه المفاهيم في التغيير الجذري لنمط التفكير والحياة .

ومع تنامي ظهور مرويات عربية (تنتمي إلى أدبيات المدينة الفاسدة) تُعبِّرُ عن الواقع العربي المأزوم، والمتشظي، والمهدَرة أحلامه، تبعَ هذا دراسات متنوّعة اشتغلتْ على البحث عن جماليات الرواية الديستوبيّة، وطرائق تشكيلها، وتيماتها المهيمنة، لكن مع كثرة الدراسات التي اشتغلت على هذه النتاجات العربيّة (التي جاءت على مستويين: دراسات شاملة، ودراسات جزئية بمقارنتها بنظيراتها في السياق الغربي بدءًا من رواية يفجيني زامياتين "نحن" (1920) وغيرها من أعمال فضحت سلطة الديكتاتورية، وعرّت الأيديولوجيا المُتسيّدة التي أرادت أن تجعل من الذات الفرديّة المُستقِلَّة، ذاتًا تابعة (جَمعيّة) ممسوخة الهُوية أو مُنْمحيّة الإرادة تمامًا، إلا أنّ التركيز كان على تحديد مفاهيم الديستوبيا، وعلاقة الديستوبيا واليوتوبيا، ونشأتها في المصادر الغربية، ثمّ مظاهر الديستوبيا في الرواية العربيّة، وقد سعت بعض الدراسات إلى المقارنة بين المرويات العربية بنظيراتها الغربية، دون الوقوف على العنصر الأساسي الذي يُعدّ هو العامل الأساسيّ في محو هوية الذات الفرديّة، والمتمثّل في اللغة، وهو ما أكّد عليه أورويل، فالعنصر المهم الذي اعتمدته روايتاه "1984" و"مزرعة الحيوانات" كان اللغة الخاصّة، لغة لا تُسمي الأشياء بأسمائها الحقيقية وبالأحرى تسميها بنقيضها، حتى غدت هذه اللُّغة تعرف باسم "اللغة الأورويليّة".

تنقسم الدراسة إلى جزأين؛ يتعلّق الأوّل بمفاهيم مرتبطة ومتداخلة مع المصطلح الأساسي "الديستوبيا"، والغرض من هذا الجزء هو البحث عن المشتركات والتقاطعات بين هذه المصطلحات، والتي يمكن التماسها في النتاجات الروائية المُمثّلة لفكرة اليوتوبيا أو الديستوبيا حيث تمّ زحزحت أعمال تنتسب بشكل أو بآخر إلى مفهوم الديستوبيا، لمجرد غياب فكرة الرؤية الاستشرافيّة أو المستقبليّة التي تتبناها رواية ما، ومن ثمّ تمّ حصرها في إطار ضيق؛ لذا وجب الوقوف عند هذه المفاهيم كنوع من فضّ الاشتباك بين المصطلحات واختصاصاتها.

ويبحث الجزء الثاني عن أشكال تلقي النقد العربي للمصطلح، حيث يشتغل على الممارسات النقدية بشقيها (الموسّع [الكتب] والمستقل [الدراسات والبحوث])، وكيف سعت إلى تأصيل هذا

النوع، والبحث عن سماته وخصائصه، وإن كانت هذه المقاربة لا تضع ضمن أولوياتها الأساسيّة (وبالأحرى ليس من مهامها) عمل استقصاء شامل للدراسات النقدية التي اشتغلت على تيمة الديستوبيا في السردية العربية، فهذا غير وارد بالمرة، وإنما غرضها الأساسي عبر النماذج المختارة وسياقاتها المختلفة التي أُنتجت فيها، يتمثل في الآتي:

1. البحث عن دوافع الاشتغال السردي (المفاجئ) بالمفهوم، خاصة في الفترة الأخيرة، مقارنة بظهور مثل هذا النوع في السردية الغربية منذ زمن بعيد، على الرغم من وجود إرهاصات عربيّة للنوع قبل هذا التاريخ بكثير دون أن تحظى باهتمام نقدي مماثل.
2. محاولة تقييم مبدئي لهذه الدراسات (وبالأحرى لبعض هذه الدراسات) التي اشتغلت على المفهوم، وكيفية تطبيق الفروض النظرية المطروحة على النصوص مادة الدراسة.
3. البحث عن الآليات المنهجيّة التي اتبّعها الباحثون في ممارساتهم التطبيقيّة، ومدى نجاح هذه الأدوات في تحليل البنية الشكليّة والفنيّة للروايات المُمثّلة للنوع.
4. البحث عن ملامح مشتركة للنوع الجديد وفقًا لما طرحته هذه المرويات، وما استنبطته هذه الدراسات من جماليات لهذا النوع.
5. الوقوف على التيمات المطردة كما أظهرتها النصوص الممثلّة للنوع.
6. الرغبة في الوصول إلى رؤية نهائية من هذه المؤشرات، لتقديم تعريف منضبط للنوع الجديد، وبيان خصائصه وحدوده وسماته، وشروطه التي يمكن عبرها إدراج الأعمال الإبداعية تحت إهاب هذا النوع الجديد.

1. الجزء الأول: مفاهيم أساسية

بداية، يجب التوقف عند بعض المصطلحات التي تكشف عن بعض التقاطعات بين مصطلحي رواية اليوتوبيا والديستوبيا وبعض أشكال الكتابة الروائية الأخرى، وهي كالتالي:

1.1 المصطلح الأول: أدب الخيال العلمي

يُعرّف أدب **الخيال العلمي** بأنه "نوعٌ من الأدب الذي يُعالج التطورات العلميّة والاكتشافات والاختراعات، التي يمكن أن تحدث في المستقبل القريب أو البعيد، وإن كان يمزج بين العلم والأدب بشكل رائع"[2]، ومن ثمّ اعتبره البعض بمثابة توفيق أو مصالحة بين الأدب والعلم على عكس ما ظن الكثيرون بأنهما متعارضان. فالأول يقوم على الخيال، والثاني يقوم على التجربة والاستقراء. وقد لعبت مجلات الخيال العلمي دورًا فريدًا في تطوير هذا النوع من الأدب؛ إذْ كانت وسيلة للنشر

بجانب دورها كساحة للنقاش المستمر عن طبيعة المجال"[3] ويعتبر الروائي الفرنسي جول فيرن (1828-1905م) والروائي الإنجليزي هـ. ج. ويلز (1866 - 1946م) من أبرز رواد أدب الخيال العلمي، اللذين قدما هذا الأدب في عدد من رواياتهما التي استشرفت المستقبل، وقد تحقّق بعض ما جاء فيها من أفكار واكتشافات واختراعات.

ويعتبر أدب الخيال العلمي أدب البحث عن اليوتوبيا، ومن ثمّ اعتبر البعض أن **"جمهورية أفلاطون"** التي أنشأها عام 360 قبل الميلاد، نوعًا مبكرًا جدًّا من أدب الخيال العلمي. ثم نشر الكاتب توماس مور عام 1516 قصته **"يوتوبيا"** وهو ما منحه لقب كاتب خيال علمي

2.1 المصطلح الثاني: الرواية السياسية (Political Novel)

تُعرّف الرواية السياسية بأنها التي تتخذ من القضايا والموضوعات السياسية موضوعًا لها، بشكل صريح أو رمزي، وقد سبق وأن أقرّ نقاد علماء اجتماع الأدب، بأن الرواية قادرة على تقديم رؤية سياسية، بيد أن هذه الرؤية فردية إلى حدّ ما[4]، ولا يعني هذا التماس مع الواقع واتصال الرواية السياسية بالقضايا الحساسة، أن كاتبها ينتمي (بالضرورة) إلى الأحزاب السياسية، لكنه صاحب أيديولوجيا يسعى إلى توصيلها إلى جمهور القراء.

بصفة عامة، حظيت الرواية السياسية باهتمام كبير سواء من قبل النقاد الغربيين الذين درسوها وقدموا أطروحات حول سماتها وجمالياتها، على نحو ما فعل الناقد الأمريكي "جوزيف بلوتنر" ففي كتابه ***"الرواية السياسية"*** (The political Novel) (1955) يرفض صراحةً الروايات التي توظّف الأقنعة التراثية والمجازية والتاريخيّة للتعبير عن القضايا السياسيّة، ويفضّل الرواية التي تقدّم الخطاب السياسي مباشرةً. وهكذا يستبعد بلوتنر الروايات التي تعالج القضايا السياسية بشكل مجازي أو رمزي من قائمة الروايات السياسية، ويرى أن الرواية السياسية هي كتاب يصف مباشرةً ويفسر ظاهرةً سياسيةً ويحللها".[5]

ولا ينفصل تعريف سعيد علوش عن التعريف الذي ذكره بلوتنر فيعرفها بأنها "نزعة روائية تقوم على أطروحة الدعوة إلى أفكار سياسية معيّنة، وتفنيد غيرها، مما يفسح المجال أكثر لحوارات تتخذ شكل مجادلات سياسية على حساب التقليل من أهمية العناصر السردية الأخرى، وهي رواية تنزع نحو نوع من الواقعية، ولا تتميز عن غيرها من الروايات سوى بتأكيدها على الحدث السياسيّ".[6]

ويعرفها الناقد الأمريكي "إيرفنج هاو" في كتابه ***"الرواية والسياسة"*** (Politics and the Novel) (1957) بأنها: "الرواية التي تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب أو التحكمي. إنها الرواية التي نتحدث عنها لنُظهِر غلبة أفكار سياسيّة أو وسط سياسي. إنها رواية تُظهِر هذا الافتراض

دون صعوبة أو تحريف"[7]، بل ويُحدّد الموضوعات التي تهتم بها الرواية السياسية كالأفكار السياسية أو البرامج السياسية والأحزاب أو ما يُسمى بالأوساط السياسية.

ولئن كانت الرواية السياسية قد ظهرت في الغرب نتيجة للصراعات الأيديولوجية والأهواء السياسية؛ حيث الصراع الحادّ بين معسكري الرأسماليّة والواقعية الاشتراكيّة، وهو ما غذّى الموضوعات التي لجأ إليها كُتّاب الغرب، في تقديم سردية أظهرت تأثيرات السياسية على الإنسان، ومن ثمّ ظهر البطل الإشكالي ونقيضه البطل الضد، كما أبرزت اغتراب البطل في ظل هيمنة قيم السوق والاستعمال، وفي الوقت ذاته كانت كشفًا لتناقضات المجتمع البرجوازي وتصوير صراعه ضدّ الطبقات المتعارضة له، وانتقاده للطبقة الرأسماليّة الجديدة، وفي بعض الأحيان تجريدها من غلوائها كما فعلت رواية "**عشيق الليدي شاترلي**" في أحد أوجهها، فإن الرواية السياسية في العالم العربي، لم تظهر - كما يقول حسين مروة - إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، مع انطلاق حركات التحرّر الوطني، وانحسار المد الاستعماري".[8] ومن ثمّ يصدق وصف جمال الغيطاني بأن الرواية السياسية "**رواية تحريضيّة، فقد تُحرّك الواقع، إذْ من الممكن أن تكون بديلاً عن العمل السياسي**".

تتصل رواية الديستوبيا (في بعضها) مع الرواية السياسية في أنهما ينتقدان الأوضاع السياسية، إضافة إلى أن القمع الذي يُمارَس في الرواية السياسيّة يكاد يكون سمة من سمات روايات الديستوبيا، بل إن الحكم الديكتاتوري والقوانين التي تفرضها بمثابة قمع للحريات والديموقراطية، كما إن تطلعات الحُكّام بالتوسعات والفتوحات بمثابة انتهاك لأمن المجتمعات الآمنة التي كانت بمثابة يوتوبيا قبل الاحتلال، وما يتعرضون له من سلب ونهب، وعبودية تحت مظلة الحكم الجديد، ومن ثم فالرواية السياسية في أحد أوجهها تعبر عن ديستوبيا الحكم نفسه، فحسب تعريف سيد حامد النساج للرواية السياسية بأنها "**رواية نقد ومعارضة واحتجاج، وهي رواية ضد السلطة أيًّا كان شكلها، وهي رواية تحرّر شامل، مادتها معاناة لموضوعات السلطة للوطن والانتماء السياسي**"[9]، وهو الأمر الذي اشغلت عليه مرويات كثيرة مثل: "**الزيني بركات**" (1974) لجمال الغيطاني، ورواية "**مجنون الحكم**" (1990) لبن سالم حميش؛ فالروايتان تعكسان ديستوبيا عالم الحُكّام الديكتاتوريين.

كما إن الاصطدام بدكتاتورية الحُكْم كفيل بأن ينال المُصطدّم أشكالاً من العذاب، وصنوفًا من التنكيل من قبل أجهزة الدولة الأيديولوجية بتعبير ألتوسير، وأدواتها القمعية، وهو ما يكون له أثر على الأنظمة الشمولية التي تسردها الرواية الديستوبية، من حيث عمليات التدجين والمحو والإقصاء التي تتمّ في السجن (وما يوازيها من المصحات العقلية) الذي صار بعبارة "إرفينج جوفمان" "***مؤسسات كاملة***" يعيش نزلاؤها حياة "**تدار بشكل رسمي**". إن التوحيد، وتبدّد الشخصية، والانضباط الجماعي،

والتسامي أو فقدان الهوية عادة ما تُحدّد هذه المنظمات. تمّ الإشارة إلى طابعها "**الشمولي**" من خلال الحواجز التي تمنع الخروج والاتصال بالعالم الخارجي، والمراقبة شبه الكاملة للسكان الذين تُنظم حياتهم بالكامل من قبل حكامهم.

3.1 المصطلح الثالث: رواية القاع أو الواقعية القذرة (Dirty Realism)، وهذا المصطلح يرتبط بمصطلح القبح (grotesque). ووفقًا لما أشار إليه المعنيون بدراسة القُبح فإنه "يسود في المجتمعات والحقب التاريخيّة المُتسمّة بالصراع أو التغيير الحادّ أو البلبلة"[10]، وبقدر ما يتصل المفهوم باللوحات الجدارية إلا أنّه اتصل بباقي الفنون الأخرى، وعلى الرغم من الصورة المُنفّرَة التي يتركها القبح على نفسية المتلقي إلا أن أهميته تكمن فيما يتمتع به من سمات الغرابة والتشويه، فهو يهدف إلى تصوير العالم في غرابته أو غربته، أي أن العالم المألوف يكتسب من منظور معين، غربة تعيد النظر في المسلمات.

تتسم روايات القاع بأنها تصوّر بيئات لا أدمية، حيث تعكس صورة المهمَّشين والضائعين والشخصيات غير السّوية اجتماعيًّا، هناك بشر لكن دومًا في حالة صراع من أجل الحياة، ومن ثم يطرد في هذه المرويات القتل والجنس اللذان يعتبران هما المحرك الأساسي للأحداث، وتميل اللغة إلى استخدام مفردات الحياة اليوميّة، بل تكاد تكون لغة مُستهجنة في بعضٍ منها، أما شخصياتها فهي شخصيات حادّة الطباع، نزقة، حيث القيم تنهار لتحلّ مكانها دوافع من نوع جديد. ومن أشهر الروايات تعبيرًا عن هذا النوع رواية "**الخروج من البلاعة**"[11] لنائل الطوخي، و"**البيريتا يكسب دائمًا**"[12] لكمال الرياحي، ورواية "**أورويل في الضاحية الجنوبية**"[13] لفوزي ذبيان.

4.1 المصطلح الرابع: اليوتوبيا

يربط دراكين سوفين المدينة الأدبية الفاضلة بالخيال العلمي، وهي عنده "**بنية تاريخية بديلة مبتغاة**"[14]، وهناك مَن ذهب إلى أفلاطون في جمهوريته التي أنشأها عام 360 قبل الميلاد، بوصفها مدينة يوتوبية بامتياز؛ حيث كان ينشد أن يكون مفهوم العدالة أوسع من مجرد حماية الضعفاء من الأقوياء أو العكس، وإنما "**تناغم بين أفراد المجتمع، واتفاق متبادل بين الفرد والدولة**"،[15] وبالمثل ما أرساه من مفاهيم جديدة كالتربية التي ابتغى أن تكون غايتها "**الوصول إلى الحاكم الفيلسوف، الذي يجتاز مراحل التعليم حتى يصل إلى مشاهدة الخير ذاته**".[16] ولا تتحقّق الدولة المثالية عند أفلاطون إلا عندما يصبح "الفلاسفة ملوكًا في بلادهم، أو يصبح أولئك الذين نسميهم الآن ملوكًا وحكامًا فلاسفة جادين متعمقين، وما لم تتجمع السُّلْطة السياسيّة والفلسفيّة في فرد واحد... ما لم يحدث هذا كله؛ فلن تهدأ - يا عزيزي جلكون - حدة الشرور التي تصيب الدولة، بل ولا تلك التي تصيب الجنس البشري بأكمله".[17]

ينتمي مصطلح اليوتوبيا إلى المصطلحات الهجينة، وهي تعني المكان الجيد (يو - توبيا) أو (لا مكان) (أو - توبيا)، وبالأحرى مجتمع مثالي لا وجود له[18]، والمؤكّد أن الكلمة دخلت السياق الأدبي مع كتاب توماس مور الشهير "**يوتوبيا**"[19] (1516)، وهو الكتاب الذي يصف جزيرة ذات نظام مثالي في مكان ما من العالم الجديد، تختفي منه شرور العالم الواقعي، وتتحقّق فيه أحلام الإنسان بالسعادة والكفاية والعدل. أما الخصائص العامة لقصص المدينة الفاضلة فهي (كما أوردها دراكين سوفين) المكان المنعزل، والمدى البانورامي المميّز للوصف، والنظام الرسمي، والاستراتجيات الدرامية التي تتناقض مع افتراض القارئ عن العالم الطبيعي"،[20] حالة الهروب إلى عالم خيالي ورحب كانت بدايته مقالة هالدين[21] التي نشرها في عام 1928، وتنبأ من خلالها بأن الإنسان سيحاول حتمًا مغادرة الأرض. ولسوف يفشل عدة مرات قبل أن ينجح في استيطان كواكب ليست بالضرورة حول شمسنا. لا توجد حدود لمحاولات الإنسان السيطرة على كل ذرة وكل حزمة طاقة في الكون.

ومعنى أن الخيال هو المكوّن الأساسي في كل الأشكال والمشروعات اليوتوبية بدءًا من جمهورية أفلاطون (باعتبارها النموذج الأول لكل اليوتوبيات[22])، وصولاً إلى روايات الخيال العلمي، لا يعني هذا انفصال اليوتوبيات عن الواقع، فالأفكار والخيالات والأحلام اليوتوبية في حقيقة الأمر لم تكن سوى استجابات مختلفة للمجتمعات التي نشأت فيها، فكانت تعبيرًا عن الرغبة في تغيير الواقع القائم وتجاوزه، والحُلم بحياة ومجتمع أفضل وأكثر عدلاً، لكن مشروعية هذه الأحلام والتصورات اصطدمت بالنظم السياسية ومن ثمّ تحوّل الخيال والعالم اليوتوبي إلى نقيضه "**الديستوبيا**" وبالأحرى اليوتوبيا التسلطيّة بتعبير الروائي الإيطالي إجنازيو سيلونه في كتابه "**مدرسة الطغاة**"، حيث "الآلات تستعبد الإنسان، وكان ينبغي أن تكون أدوات في يده، والدولة تستعبد المجتمع، والبيروقراطية تستعبد الدولة، والكنيسة تستعبد الدين، والبرلمان يستعبد الديموقراطية، والمؤسسات تستعبد العدالة، والأكاديميات تستعبد الفن، والجيش يستعبد الأمة، والحزب يستعبد القضية، وديكتاتورية البروليتاريا تستعبد الاشتراكية".[23]

والجدير بالذكر أن ليس كل اليوتوبيات كانت ثورية وتقدمية، فعناصر الديستوبيا كامنة داخل المدينة الفاضلة منذ جمهورية أفلاطون،[24] ونص توماس مور "**يوتوبيا**"[25] **(1516)**، والمثال الواضح على هذا أن دانيال دايفو في رواية "**روبنسون كروزو**" (1719) عندما سعى إلى تأسيس مدينته الخاصة، بعيدًا عن موطنه، كان يؤسس إلى فكر استعماري بغيض ومبكر جدًّا (أي ديستوبيا، وهو ما يعني أن كل يوتوبيا تحمل داخلها ديستوبياها)، حيث فَرض على صاحب الأرض أفكاره، وسلبه هويته بأن أعطاه اسمًا غير اسمه، كما أنه علّمه لغته. فكروزو كان "ينطلق من مرجعية أخلاقيّة ترى أن العالم البروتستانتي هو النموذج الأكفأ للعالم المتمدّن، فيصبح احتذاؤه ضروريًّا في رهان

التحديث"،[26] فهجرة روبنسون كروزو عن العالم الغربي لم تكن إلا انفصالًا جسديًّا، أما أفكاره وقيمه فقد حملهما معه إلى العالم الجديد (يوتوبياه)، وكأنه يسعى إلى تحويل الجزيرة النائية إلى وطن جديد (خاص به)، "يُبنَى طبقًا للقيم التي يؤمن بها والأفكار التي ورثها عن النموذج الذي غادره، فيلجأ إلى إخضاع الطبيعة لإرادته، فترويض الطبيعة والحياة وإخضاعهما للثقافة تكون الخطوة الأولى".[27]

على الرغم من إيمان معظم الكتّاب اليوتوبيين بأن سعادة الإنسان تكمن في "الحياة في مجتمع محكم التنظيم يزوّد كل أفراده باحتياجاتهم"، لكن لم يدركوا كما تقول لويزا برنيري "خطورة تعرض الإنسان لأفظع حالات الضيق والحرمان من أي تعبير مبدع"[28]. فالحقيقة المهمة أن المجتمع كائن عضوي حي، وأن تنظيمه يجب أن يكون تعبيرًا عن الحياة لا بناءً ميتًا. فبعض قوانين المدينة الفاضلة تمثّل رقابة غير عادية، وبالتالي تتجاور المدينة الفاضلة مع المدينة الفاسدة في حالات القمع، والإكراهات التي تأتي بصورة قوانين تكبح الرذيلة، فلا يتمتع المواطنون في المدينة الفاضلة بحرية الاستمتاع بالحانات ولا بيوت الدعارة، حتى أبسط حقوق المواطن في السفر والتنقُّل من مكان إلى آخر، يخضع لسلطة الدولة وإذنها بالسماح بمنحه جواز سفر، وقد تصل عقوبة المتمرد على قوانين المدينة الفاضلة بتجريده من هويته، ويصير بلا هوية. فالحقيقة التي لا تقبل الشك سواء في المدينة الفاضلة أو نقيضتها المدينة الفاسدة (الديستوبيا)، أن العديد من الأغلبية على استعداد للتضحية بالأقليات من أجل رفاهيتهم الخاصة، والدليل الواضح على ذلك في البيئات الديموقراطية أن من لديه سلطة سن القوانين، يفصّلها وفقًا لاحتياجات ومصالح الأقوى، وليس لاحتياجات الضعيف، ومصلحته.

5.1. المصطلح الخامس: الديستوبيا (نقيض اليوتوبيا Dystopia)

الديستوبيا هي مدينة فاضلة، ولكن نقيضة تمامًا؛ إذْ تُعاني خللاً وظيفيًّا، ومن ثمّ حلّت مع القرن العشرين محل المدينة الفاضلة، والديستوبيا تشير إلى مجتمع (خيالي أو واقعي) فاسد مخيف أو غير مرغوب فيه، يقع في المستقبل التأمُّلي، تميّز بالتجرد من الإنسانية، وسيطرة الحكومات الشمولية، مجتمع يُعاني من الفقر والتلوث والانهيار المجتمعي والقمع السياسي. ولئن كان القرن العشرون يمثّل العصر الذهبي لأدب الخيال العلمي وفروعه كأدب الديستوبيا، فإن البداية الحقيقة لهذا النوع كانت مع القرن التاسع عشر، وتحديدًا مع رواية الفرنسي جول فيرن "***باريس في القرن العشرين***" (1863)، والتي كانت تدشينًا لسيطرة التكنولوجيا على مناحي الحياة في باريس، في مقابل تراجع الثقافة.

2. سمات أدبيات المدينة الفاضلة

تعدُّ الرغبة في التحرّر سمة من سمات أدبيات المدينة الفاضلة، لكن هذا التحرّر أخذ طابعًا عنيفًا ومأساويًّا في أدبيات المدينة الفاسدة، والغريب أنه اقترن بالوسائل التكنولوجيّة، فاتش جي ويلز في روايته "**العالم يتحرّر**" (1916) يستخدم القنابل الذريّة لمحو ما تبقى من آثار النزعة القوميّة الضيقة، وتقضي على أعداد ضخمة من مواطني الأجزاء الأفقر في أوروبا، ومن ثمّ انتشرت مرويات كان لهيمنة التكنولوجيا الكلمة الأولى والأخيرة في السيطرة والتدجين، والقمع والمسخ أيضًا. الغريب أنه على الرغم من ارتباط روايات الديستوبيا بالمستقبل، إلا أنها قرنت المستقبل بنظرة يملؤها الخوف والتوجس من المصير ومن التوغّل في استخدام التكنولوجيا التي غدت هي الأخرى عاملاً مهمًا يُهدّد الحرية الفردية، وآلية قمع وتجريد للهوية؛ فقد لاحظ "**راي برادبوري**" صاحب رواية "**فهرنهايت 451**" (1951) "إن أوّل استخدام للذرة كان للقتل الجماعي وليس لأغراض سلمية، وآمن ويلز أن التقدم العلمي خطر داهم بالنسبة لبشرية لم تنضج إنسانياً بعد"،[29] وهو الأمر الذي يحذرنا منه هكسلي بقوله: "لقد أدت التكنولوجيا الحديثة إلى تمركز السلطة السياسية والاقتصادية".[30]

و تحولت الطبقة العاملة في رواية "**آلة الزمن**" **لويلز** (1895) إلى وحوش آكلة للبشر تعيش تحت الأرض، وتتغذى على الطبقة البرجوازية التي تحولت إلى مجموعة من الحملان، كما يبرز الفكر الشمولي الذي لا يؤمن إلا بالرأي الأحادي، ففي رواية **ويلز** "**مدينة فاضلة حديثة**" (1905)، عالم النبات الذي يستعين به بطل الرواية لإبداء ملاحظاته على نمط المدينة الفاضلة الأدبي بأكمله، يؤمن بأن قصص المدينة الفاضلة ينبغي أن تتسم بالديناميكية، كي تتلاءم مع التغيير المستمر المميز للحقبة الحديثة، في إشارة لاستفادته من المفهوم الداروينى للتطوير، فكما يقول سِيد "فرُعْبه الدرويني مِن تسبُّب الزيادة السكانية في إحداث صراع بين الأنواع يدفعه إلى اقتراح التخلص من "**ضعيفي الجسد**"، بل ويضيف إن "الدولة ستتخلص من جميع الأطفال المشوّهين وستنفي المنشقين إلى جزيرة مناسبة رغم وجود سجون، وبدلاً من اختفاء القوميّة، فإنها ستنتشر على نطاق عالمي لتصبح لندن مركز إمبراطورية عالمية"[31].

السمة الغالبة لروايات الديستوبيا (أو أدب المدينة الفاسدة)، هي سيطرة البُعد الشمولي، والرغبة في السيطرة، وهو ما ألهم الحكومات الديكتاتورية ابتكار آليات حديثة ومتطوّرة للسيطرة والهيمنة والتدجين عبر أجهزتها كما عبّرت رواية السوفيتي يفجيني زامياتين "**نحن**"[32] (1920) (نشرت عام 1924)، فالمواطنون مجرد أرقام، الرجال والنساء جميعًا بلباسهم الموحّد يعلّقون لوحًا ذهبيًّا يحمل أرقامهم[33] "فلا يوجد في المجتمع عضو "**واحد**"، بل "**واحد بين كثيرين**"، أو "**واحد من ..**" ، والدولة يحكمها "**المُحسن**"، الذي يعتبر وكلاءه "**حراسه**" ملائكة حارسين، فهم مطلعون على كل حركة، بل

وكل فكرة تدور في رأس أي مواطن، لأنهم يضطلعون في نفس الوقت بدور الكاهن الذي يتلقى الاعتراف، ودور الجاسوس ودور مخبر البوليس.

كما أن الحياة في الدولة الوحيدة المُسمّاة "**التكامل**" مُنظمّة بدقة رياضيّة، فحلّ جدول المواعيد محلّ الأيقونة التي تُعلّق في كل غرفة، فالعمل والأكل والنوم والمعاشرة الجنسيّة قد نظمت كلها تنظيمًا صارمًا في جدول المواعيد" وكل شيء قد تحوّل إلى معادلات رياضيّة، والمصنع الموسيقي لا ينشد بأبواقه كلها إلا مارش الدولة الواحدة، والزجاج يتخذ كوسيلة ذات بعد أيديولوجي فلا يقتصر دوره على مجرد السماح بإدخال المزيد من الضوء، وإنما وسيلة لكي يحقّق الحد الأقصى من السهولة لمراقبة السلطات للسجناء بصريا، فبناء السجن يعني "**الذي يرى كل شيء**"، فالبيوت بُنيت من حوائط زجاجية لتمكنهم مِن أن يروا بنظرة واحدة ما يجري في كلّ شقة سكنيّة، ويسمح بإنزال الستائر في الساعة المحدّدة للمعاشرة الجنسيّة فقط. فالحياة داخل الدولة الوحيدة مفتوحة داخل حوائط شفافة، وداخل الدولة كل مدينة محاطة بسور ولا يسمح لأحد بالخروج منه، وعبر كل هذه الإجراءات المقننة في المراقبة والسيطرة تنجح الدولة في تدمير خيال مواطنيها.

ويتخذ الفكر الشمولي في رواية ألدوس هكسلي "**عالم جديد شجاع**" (1932) مدى أكثر رحابة في استغلال التكنولوجيا في ترسيخ مبدأ التبعيّة والطاعة، حيث يبرز فكر هيمنة الدولة وتوجهاتها الشمولية في السيطرة على الشعوب، بفرض نمط واحد، وهي تتحدث عن يوتوبيا نقيضة (مضادة) كلها هندسة جينية ورقابة ومحو لفكرة الأسرة، بوسائل فظيعة لاستتباب الأمن والاستقرار، فهناك عمليات التخليق الصناعي للرضع في الزجاجات،[34] ثم هناك عمليات التكييف الشرطي عن طريق الهيبنوبايديا، أي تليقين التعاليم الأخلاقية أثناء النوم، والتشريط البافلوفي الجديد للأفعال المنعكسة لدي الأطفال، وأما وسائل التقويم فليس هناك جلّادون أو أدوات تعذيب؛ فالمذنبون في حق الدولة يرسَلون إلى جزيرة نائية حيث يعيشون حياة كئيبة، ويُقمع المتمردون باستنشاق غاز السوما، كما تمّ إلغاء الجنس في هذا المجتمع ولم يعد ثمة مفهوم محترم إلا الإنتاج. الإله الأوحد في هذا العالم هو فورد (ربما فرويد) ويعيش الناس راضين باستعمال دواء اسمه سوما، يعينهم على النوم والنسيان ويشفي من كل أمراض السخط وسوء المزاج، ويوجد إنسان (متوحش) واحد في المتحف.

أخذت ملامح رواية الديستوبيا في روايتي جورج أورويل "***مزرعة الحيوان***" (1945)، و"**1984**" التي كتبها عام 1948، بُعدًا خاصًّا فالدكتاتورية لم تكتفِ بما مارسته أجهزتها الأيديولوجية من قمع وتعذيب، لتدجين الجماهير والهيمنة عليهم، إضافة إلى اعتمادها على وسائل تكنولوجية متطوّرة كآلية لتزييف وعي الجماهير، فلجأت إلى سردية جديدة وسيلتها "**اللغة**"؛ حيث أظهرت الروايتان استخدام اللغة ببعديْها الإليجوري والسياسي كآلية لهيمنة الأنظمة الشمولية الاستبدادية[35] فشاع

مصطلح اللغة الأورويلية[36] كتجسيد لهذه الهيمنة التي وصفتها الرواية عبر صورة **الأخ الأكبر**، الذي يستبيح لنفسه كل الوسائل غير المشروعة للقيام بعملية التزييف اللانهائية للتاريخ، فالرواية تركز على الكيفية التي تبرز الدور المهم "للغة في استقرار سلطة ديكتاتورية شمولية"،[37] فإذا كان برادبرودي في "***فهرنهايت 451***" اتخذ التليفزيون كأداة ترفيه، حتى ولو كان غرضها بث القيم التافهة في مقابل القضاء على القيم الأصلية المجتمعية، فإن أورويل جعل وظيفته تتمثل في الهيمنة والسيطرة؛ إذ تنتشر الكاميرات الخفيّة في كلّ مكان حتى في الريف، إلى درجة أن صار المجتمع كله يتجسس أفراده بعضهم على بعض. وقد غدت المدينة كلها خاضعة للسيطرة والمراقبة بفعل الأخ الكبير، الذي يتماثل مع الحقيقة التي أدركها الروائي فيليب كيه ديك، والتي طرحها في تساؤله: "**ما الحقيقي؟**" وقد كان تفسيره جواباً لتلك المعاناة التي تعانيها الشعوب في ظل الديكتاتوريات وهيمنتها عبر الأجهزة التكنولوجية والاختراعات التي لم تُخترع لإفادة البشرية، بقدر ما كانت وسيلة للمراقبة والهيمنة، فيقول: "نحن نعيش اليوم في مجتمع تُصنع فيه الحقائق الزائفة على يد الإعلام والحكومات والشركات، والجماعات الدينيّة والسياسيّة التي اخترعت الأجهزة الإلكترونية من أجل إيصال تلك العوالم الزائفة إلى دماغ القارئ والمُشاهِد، والمُستمع مباشرة".[38]

أبرزت الرواية الغربية الممثّلة لرواية الديستوبيا خصائصها، وهي التي أجملها ألدوس هكسلي في كتاب له صدر عام 1958، مبرزًا أخطار الزيادة السكانية، والتجاء الحكومات إلى استغلال الفضاء الخارجي تجاريًّا باعتباره مكانَ سكنٍ محتملاً، وتكريس السخرية، حيث استغلال الحكومات للعمالة في إنتاج مواد غذائية صناعية، إضافة إلى الدور الكبير الذي تلعبه المؤسسات الصناعية الكبرى في إحلال التقنيات محل العامل النشاط البشري، وهو ما ينعكس على الشخصيات حيث تتصف بالطابع الآلي، وترديد الشعارات الروتينية. وانتشار القمع ومصادرة حرية التفكير بمنع الكتب الذي يمثل قمعًا للحوار كما أشارت رواية برادبوري "***فهرنهايت 451***"، وإحلال القيم الإعلامية التافهة محل التفاعل الاجتماعي، وصياغة سردية جديدة بطلتها اللغة كوسيلة إدماج للهيمنة والتحكم في الجماهير، وتأكيد ولائهم للسلطة الديكتاتورية الجديدة.[39] بصفة عامة فإن تصبح روايات الديستوبيا بمثابة تحذيرات للقارئ: «تنبيه عام، لا تدع هذا يحدث لمجتمعك»!

كما كشفت رواية الديستوبيا عن اتجاهين الأوّل، يتمثّل في الشك الشديد في قدرة الدولة على تغيير المجتمع، بل على العكس كرّست لشموليتها (سواء كانت شيوعيّة صريحة أو اشتراكية غامضة) وأنها على استعداد للتضحية بالفرد في سبيل مصلحة الدولة، وهو ما انعكس على فئة المثقفين الذين تبنوا موقف الخضوع الكامل للدولة، فصاروا مجرد دعاة مأجورين، وفي أضعف المواقف الاستبسال والدفاع عن الحقوق الفردية لهم. أما الاتجاه الثاني فتمثّل في التخلّي عن الإيمان بحتمية التقدّم، فقد

أدرك كُتّاب الأجيال الحديثة أخطار الاكتشافات العلميّة والتطوّر الصناعيّ، مثلما أدركوا المزايا على عكس معظم كتّاب القرن التاسع عشر، الذين آمنوا أنهما سيؤديان بصورة آلية إلى زيادة سعادة الجنس البشري، فهم أدركوا بأنه لم يعد ينتظر من الآلات أن تقوم بتحرير البشر، بل على العكس تمامًا فقد أصبحت وكأنها تتحكم فيهم تحكم السادة في العبيد.[40]

3. ثانيا: تلقي الديستوبيا في النقد العربي[41]

نظرًا لحداثة النوع في الأوساط الثقافية العربية – وإن كان ثمة إرهاصات متعددة في السردية العربية القديمة سبقت هذا الحضور البازغ - فإن الاشتغال النقدي المتابع للمصطلح، هو الآخر يعد حديثًا نوعًا ما، فالدراسة الأولى التي تطرقت للموضوع هي دراسة نعيمة علي عبد الجواد: "**ديستوبيا الواقع واليوتوبيا المأمولة في رواية آلة الزمن**"، صدرت 2009، واللافت أنها طبقتها على رواية غربية في إشارة إلى عدم شيوع مثل هذه الكتابات في السرديات العربية، وهو غير صحيح، ومع موجات الربيع العربي، بدأ الاهتمام بهذه الكتابة على مستوى الإبداع والممارسة النقدية، لكن بداية الكتابات النقدية الموسعة كانت بعد مرور عقد من الزمن على موجات الربيع العربي، فأول دراسة شاملة أخضعت مجموعة من الأعمال الروائية التي تنتمي إلى روايتي اليوتوبيا والديستوبيا، كانت دراسة نجدي عبد الستار وهي بعنوان "**الديستوبيا الروائية: المفهوم، الأنواع، الوظائف" 2020.**

الملاحظة الأولى (قبل الحديث عن هذه الأعمال) أن عدد **الكُتب** التي اشتغلت على المصطلح أقل بكثير من الدراسات النقدية المفردة، فالأخيرة تتسم بالكثرة، وتتناول - بصفة عامة - أعمالاً مفردة، باستثناء دراسة أو اثنتين اشتغلت على المقارنة بين مروية عربية وأخرى غربية. الملاحظة الثانية أن معظم الدراسات جاءت في إطار الدراسات والبحوث الأكاديمية، فهي منشورة في دوريات جامعية، الشيء الأخير أن المادة جاءت متنوّعة فلم تقتصر على قُطر بعينه، وإنما غطّت نتاجات عربيّة مختلفة، وأيضًا على مستوى النوع (رجل / امرأة)، أما بالنسبة للكتب المستقلة، فإسهام المرأة غير متحقّق. وبناء على هذا سوف تُقسّم الممارسة التطبيقية إلى نوعين؛ أولاً: الكتب المستقلة، ثانيًا: الأبحاث والدراسات المنفصلة.

3. 1. بالنسبة للكتب المستقلة هي كالتالي وفقًا لتواريخ نشرها:

1. نجدي عبد الستار: "**الديستوبيا الروائية: المفهوم، الأنواع، الوظائف" (القاهرة:** دار النابغة للنشر والتوزيع، ط 1، 2020).
2. حسين تروش: "**الرواية العربية العولمة ... من حُلم اليوتوبيا إلى الديستوبيا العجائبية"** (الجزائر: دار خيال للنشر والترجمة والتوزيع، ط 1، 2022).

3. عبد الحميد الحسامي: **"متخيل (الديستوبيا) في الخطاب الروائي" (عمان - الأردن:** دار كنوز المعرفة العلمية، جزأن،، ط 1، 2023)
4. عبد الحميد الحسامي: **"السرد البصري: تشكيل متخيّل الديستوبيا"** [42] **(القاهرة: مؤسسة أروقة للدرسات والترجمة والنشر، ط 1، 2022).**
5. إنجي خالد أحمد: "**اليوتوبيا والديستوبيا في رواية أحمد خالد توفيق**"[43] (القاهرة: دار العربي للنشر والتوزيع، ط 1، 2023)

3. 2. والدراسات جاءت كالتالي:

سأقتصر في هذه المقاربة على الدراسات الأكاديمية، وأتغاضى عن المقالات التي نُشرت في صحف ودوريات غير محكمة. ويرجع السبب عندي إلى سببين؛ الأوّل يتمثّل في أن المقالات كانت بمثابة استثمار للمصطلح في قراءة أعمال سردية صدرت عقب ثورات الربيع العربي، ولم تتوقف عند طبيعة المصطلح ونشأته وسماته، وإنما اكتفت بتحليل الروايات وإظهار ما تتصف به من سمات ديستوبية وغيرها، والسبب الثاني: يتصل بالرغبة في محاولة التماس بنية منهجية في الدراسات الأكاديمية، تكون بمثابة قاعدة أساسية للدراسات النظرية اللاحقة التي تدرس النوع، **والدراسات حسب تواريخ النشر كالتالي:**

1. نعيمة علي عبد الجواد: "**ديستوبيا الواقع واليوتوبيا المأمولة في رواية آلة الزمن**"، مجلة فكر وإبداع، مصر، ج 51، 2009.
2. محمد أحمد عبد الرزاق ناصر الحسني: **"ثنائية (اليوتوبيا - الديستوبيا) في الرواية العراقية دراسة سيميائية"**، مجلة الآداب، العدد 112، 1436 هـ، / 2015 م.
3. أحلام بن الشيخ: "**مشهديات الديستوبيا في رواية "جملكية آيا" لواسيني الأعرج**"، دراسات أدبية، العلامة، العدد السادس، جوان 2018.
4. محمود محمد السعيد أبو زهرة: "**ملامح الديستوبيا في رواية "يوتوبيا: للكاتب أحمد خالد توفيق** (1962 - 2018)، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر، ع 39 / ج 3، 2018.
5. محمود محمد السعيد أبو زهرة: "**ملامح الديستوبيا في رواية يوتوبيا للكاتب أحمد خالد توفيق (1962 - 2018)**"، مجلة كلّية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر، عدد 39، 2020.
6. أسماء إبراهيم حسين شنقار: "**الرواية الديستوبية المصرية: مظاهرها، ولغتها**"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنات بدمنهور، العدد الخامس، الجزء الثالث، 2020.

7. نجدي عبد الستار محمد نجدي: "**أثر الديستوبيا في تشكيل الزمن الروائي**"، مجلة البحث العلمي في الآداب، الجزء الخامس (اللغات وآدابها)، يوليو 2020.
8. نجدي عبد الستار محمد نجدي: "**تشكيل الشخصية في الرواية الديستوبية**"، المجلة العربية / مداد، المجلد الرابع، العدد 9، أبريل 2020.
9. غادة طوسون: "**الديستوبيا ملامح التشكيل وآليات السرد بين ألدوس هكسلي وإبراهيم نصر الله: دراسة مقارنة**"، حولية كلية اللغة العربية بنين، بجرجا، جامعة الأزهر، العدد 25، الجزء العاشر، للعام 1442 / 2021.
10. محمد عبد الناصر محمد العنتبلي: "**تجليات الديستوبيا في رواية "السنجة" لأحمد خالد توفيق "رؤية تحليلية نقدية**"، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، جامعة الأزهر، العدد 25، الجزء العاشر، للعام 1442 / 2021.
11. محروس محمود القللي: "**ديستوبيا الوباء في الرواية المصرية دراسة مقارنة**"، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم (اللغويات والثقافات المقارنة)، مجلد 13، ع 1 يناير، 2021.
12. صبحي البستاني: "**اليوتوبيا والديستوبيا وتخطي الحدود الزمنية والمرجعية في الرواية العربية الحديثة: روايتا يوتوبيا لأحمد خالد توفيق، وعطارد لمحمد ربيع أنموذجًا**"، دراسات السردانية العربية، ربيع وصيف (2021)، السنة 2، العدد 4، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الخوارزمي، والجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها.
13. مجدولين على عبد الرحمن: "**الديستوبيا في الرواية العربية المعاصرة "المدينة الفاسدة": قراءة في رواية "في ممر الفئران**"، مجلة جرش للبحوث والدراسات، جامعة جرش، تموز 2022.
14. منى حسن علي: "**الديستوبيا في رواية فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي، دراسة تحليلية**"، مجلة الخليج العربي، المجلد 50، العدد الرابع، كانون الأول، 2022.
15. صفاء جمال داود: "**مظاهر الديستوبيا في المشهد الروائي العراقي بعد 2003: رواية عذراء سنجار لـ"وارد بدر السالم" أنموذجا**"، مجلة زانكو الإنسانيات، جامعة صلاح الدين، العراق، مجلد 26، ع 2، 2022
16. رامي أبو شهاب: "**ما بعد الكولونيالية: رواية فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي، الامتدادات النصية، وصياغة الأثر**". وهي موجودة على موقع أكاديميا دون تحديد لمكان النشر وسنته.

17. زينب محمد عبد الحميد: "**اليوتوبيا والديستوبيا في رواية ما بعد الثورة دراسة في تشكلات المصطلح**"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد (83) العدد (2)، يناير 2023.

18. فريدة جميعان القريناوي: "**تجليات الديستوبيا في الرواية الجزائرية، رواية "وطن من زجاج"، لياسمينة صالح أنموذجًا**"، Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 2, Issue 1 (2023).

3.3 المحور الأول: تلقي الديستوبيا على مستوى الكتب.

(في الجزء الخاص بالكتب، سأتوقف قليلاً عند كتاب: **الديستوبيا الروائية: المفهوم الأنواع، الوظائف" وكذلك رسالة** إنجي خالد أحمد: *"اليوتوبيا والديستوبيا في رواية أحمد خالد توفيق"* لمعرفة آليات المنهج العلمي في استقراء الظاهرة، ورصد ملامحها سواء باختيار مجموعة من العينات، أو الاقتصار على نموذج واحد كما في حالة إنجي خالد.

يعتبر كتاب نجدي عبد الستار *"الديستوبيا الروائية: المفهوم، الأنواع، الوظائف"*[44] من أوائل الكتب (وإن جاء متأخّرا مقارنة بشيوع المصطلح في الغرب) التي اشغلت على المصطلح سواء بتحديد طبيعة النوع واقتصاره على الرواية دون غيرها من فنون إبداعيّة، حيث يرصد سمات الديستوبيا في عدد من الروايات العربية هي "**السيد من حقل السبانخ**" لصبري موسى، و"**يوتوبيا**" لأحمد خالد توفيق، و"**عُطارد**" لمحمد ربيع، و"**فئران أمي حصة**" لسعود السنعوسي، انطلاقًا من تحليل البنية الروائية في الأعمال موضع الدراسة.

يبدأ نجدي عبد الستار بتحديد مفهوم الديستوبيا، ويرى أن "**مصطلح الديستوبيا** قديم ولم يكن الأدب وحده هو الذي أوجده وإنما تبيّن المصادر الفلسفية تردد أصداء الديستوبيا في فلسفة فريدريك نيتشه العدمية، وفي أيديولوجيات الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي، وكذلك في مفهوم الواقع الشبيه عند الفيلسوف الفرنسي "جان بودريار" (وهو رأي يعتمد فيه على نعيمة عبد الجواد: في مقالتها: **ديستوبيا الواقع واليوتوبيا المأمولة في رواية آلة الزمن، 2019**). أما تعريفه للديستوبيا فيقول بأنها: "فكرة روائية منطلقة دائمًا من الواقع المخيّب لأصحابه، مستشرفة المستقبل الذي يبدو مرواغًا، في مكان يتصف بالضعة والخبث، تحمل صورة أكثر قتامة من ظواهر قائمة بالفعل، أشخاصها يصارعون للهروب من واقع يحاصرهم ويخنقهم، ويفشلون في الأعم الأغلب في الهروب من النهاية المأسوية

المقدرة لهم ..."، ويرى أن الديستوبيا ليست مضادة لليوتوبيا، كما يُشاع عنها دومًا، ولكنها نوع **فريد صدر في القرن العشرين نتيجة لانحراف الواقع وانحسار اليوتوبيا من العقول والنفوس، لتؤثر على الشخصية**"،[45] وفي الحقيقة التعريف يحمل في معناه هدمًا لفكرة الديستوبيا، بدءًا من قصره على الرواية فقط، وثانيًا من وصف شخصياته بأنها تصارع الهرب من الواقع المحاصر لهم، ويخنقهم، وانتهاء بالفشل، وهو ما يتوافق مع الشخصيات الضد كما هي عند لوسيان جولد مان، التي هي بعيدة كل البعد عن سمات الشخصيات الديستوبيّة. إضافة إلى تفسيره أن سبب ظهورها لانحراف الواقع وانحسار اليوتوبيا، لأن في الحقيقة مدن اليوتوبيا نفسها حملت ضمن تكوينها ملامح ديستوبية، بفرض الفكر الشمولي في المثاليات التي أرادتها لمجتمعها، فالمثاليات كانت أشبه بقيود مُكبِّلة للشخصيات (بدءًا من كتاب توماس مور "**المدينة الفاضلة**" (1516) ثم رواية "**روبنصون كروزو**" (1719) لدانيال دايفو).

قام هذا الناقد بعد ذلك بتحديد القرائن المصاحبة لرواية الديستوبيا، **وقد حصرها في الآتي**: 1. أن أحداثها مستقبليّة. 2. وأنها تهكميّة ساخرة. 3. ويشيع بها التطرّف والمغالاة في الاتجاهات السلوكيّة والفكريّة والمذهبيّة بها. 4. وكذلك يغيب دور الدين أو يتحوّل لخدمة السلطة المطلقة وتأييد القمع. والحقيقة إنه لا يذكر ارتباطها بالخيال إيمانًا منه بأن المستقبل بحد ذاته يتضمن الخيال، وإن كان هناك مثلا "**روث ليفيتاس**"، تنفي ارتباط الديستوبيا بالخيال قائلة إن "**الديستوبيا ليست بالضرورة خيالية في الشكل؛ فلا التنبؤات بالشتاء النووي ولا المخاوف من عواقب تدمير الغابات المطيرة، أو الثقوب في طبقة الأوزون، أو ظاهرة الاحتباس الحراري، أو الذوبان المحتمل للقمم الجليدية القطبية، هي في المقام الأول مادة من الخيال. يعني مستقبلًا مخيفًا حيث تسود الفوضى والخراب. لذلك هناك استخدامات غير أدبية وتجريبية لهذا المصطلح.**"

يُقسّم نجدي عبد الستار الأعمال الروائية الديستوبية إلى أربعة أقسام[46] يرى أنها شاملة لمختلف الأعمال العربية في هذا المضمار، فهناك ديستوبيا الهوية الدينيّة التي تبحث عن سبب فَقد الإنسان لهويته وعدم ارتباطه بالمكان ما يجعله منعزلاً وخائفًا، وفيها يرصد الروائي أثر الخلافات المذهبية على تحويل الإنسان والمجتمع إلى ديستوبيا ملؤها الصراعات والحروب المذهبية. أما النوع الثاني فهو ديستوبيا الحقوق التي تشمل انتهاك الحريات، فيما يتعرض النوع الثالث إلى ديستوبيا انتهاء العدالة الاجتماعية، ويضم النوع الرابع؛ ديستوبيا الآخر العلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمع الديستوبي، ثم يقسّم أنماط الشخصيات في الرواية الديستوبية إلى شخصيات مُتسلِّطة، وشخصيات متناقضة، وشخصيات لا مُنتمية للواقع الديستوبي.[47] ويُفصّل بقوله: "الشخصية المتسلّطة هي التي تظهر في رواية الديستوبيا

في أشكال مختلفة تشمل الحاكم والأب والأخ والبلطجي ورجل الدين والإقطاعي الذي يتحكم في مقدرات الاقتصاد،[48] ويرى أن شخصية البلطجي لها حضور كثيف في الأعمال الديستوبية التي يتنشر فيها قانون الغاب، وتنزوي الدولة بعيدًا عن أداء واجبها تجاه مجتمعها.[49]

وفيما يخص الشخصية المتناقضة فتعيش صراعًا بين الطاهر والمدنس، وبين أن تكون مع الجموع الذين يمارسون كل الموبقات من أجل الحياة وإرثها القيمي، فيما تتصف الشخصية اللامنتمية في الروايات الديستوبية بالثقافة والرؤية الإنسانية وروح التسامح والبحث عن الوجود الحر الذي تمارس فيه إنسانيتها"، والحقيقة أن هذا التوصيف ينطبق على الشخصيات في الرواية التقليدية بصفة عامة، وليس حكرًا على شخصيات رواية الديستوبيا، والدليل على ذلك أنه يُسهب في المقدمة بتعريف الشخصيات، وتحديد سماتها منذ الرومانسيين، ومحاولة التفرقة بين الشخصية الروائية والشخصية في الواقع، ويتتبع تعريفات الشخصية عند فيليب هامون، ووظائفها، وبعد استعراض المفاهيم الخاصة بالشخصية، وسماتها، والأبعاد الخارجية والنفسية والاجتماعية للشخصية الديستوبية، وعلاقتها بالديستوبيا ينتهي إلى أن الشخصية في الرواية الديستوبية "فاقدة للدوافع، لا ميول لها سوى دفع ما يأتيها من كل صوب، فاقدة للتفكير المنطقي، وليس لها أي استعداد لعمل يخلصها مما هي فيه"من أهم العناصر وأكثرها تأثيرًا في الأحداث التي بدورها تحدد نوع العمل، **والنتيجة التي ينتهي إليها تنطبق على الرواية بصفة عامة، فالشخصيات** من أهم العناصر المشكّلة لبنية الرواية الديستوبية، وأن الشخصية الديستوبية "قائمة في الأساس على مشكلات نفسيّة، تتحكم الغرائز في سلوكياتها المختلفة، كغريزة حب البقاء، والغريزة الجنسية، والخضوع، والمقاتلة، إلى غير ذلك من الاستعدادات الفطرية النفسية والدوافع السيكولوجية التي تدفع الفرد إلى إدراك من نوع معين، والشعور بانفعال خاص عند الإدراك، أو أن يسلك نحوها مسلكًا بذاته"[50]، والغريب أن هذه النتيجة التي يصل إليها، ليست استنادًا على فحص النصوص، وإنما هي استشهاد مأخوذ من كتاب الدكتور سيد حامد النساج[51]، وعملية الاستشهاد في غير محله متكررة في مواضع كثيرة من الدراسة، على نحو استشهاده بمحمد غنيمي هلال في "النقد الأدبي الحديث" (2001) في تحديد أبعاد الشخصية الثلاثة: (الجسمي، والنفسي، والاجتماعي) [52]، إبراهيم المصري "الأدب الحي" (1930).

ولنأخذ مثالاً تطبيقيًّا على توصيف الشخصية الديستوبية، وكيف أن الوصف يفضي إلى نتائج مغلوطة: فعلى سبيل المثال، يصف شخصية أحمد عُطارد في رواية محمد ربيع "***عُطارد***"[53] (2015)؛ هكذا: "إن شخصية أحمد عطارد ضابط الشرطة المقاوم للمُحتل، الذي يحمل بين جنباته حبًّا لأرضه، ووطنه، وفي الوقت ذاته يحمل نقمة من شعب خانع راض بالذل والهوان. هذه الشخصية التي جاءت

في رواية عطارد مقدمة تأكيدًا بأن الرواية الديستوبية دومًا تحذر من خنوع الشعب والرضا المذل، التي ترضى بالقليل حتى يتحول إلى فئات ثم يتلاشى تمامًا فيتحوّل إلى العدم وتتساوى عنده الحرية والعبودية، فيتقبّل المستعمر دون أية مقاومة منه"[54]. في الحقيقة هذا الوصف ينطبق على الشخصية الضد عند لوسيان جولد مان، تلك الشخصية التي تصارع واقعها ولكنها تفشل في تحقيق نتائج فتنسحب داخليًّا، شعورًا بالهزيمة، ومن ثم تصاب بالإحباط واللامبالاة والسلبية، على عكس الشخصية الإشكاليّة.

يتكرّرُ نفس الحال مع شخصية صالح في رواية سعود السنعوسي "**فئران أمي حصة**"[55] (2015) فيرى أن شخصية صالح من أكثر الشخصيات تناقضًا في العمل الروائي، وإن كانت تنتمي إلى الشخصيات المُتسلّطة، فهو عندما سافر إلى مصر، وعاد منها أخذ "يقلّد المصريين في ملبسهم ويستمع لحليم (لكن) سرعان ما يترك ذلك ويرتدي الملابس القصيرة تاركًا لحيته"، وفي موقف آخر، يظهر حُبّه لعبد الناصر فيعلّق صورته في غرفته، ثمّ في مرحلة لاحقة يُنحيها، ويعلّق بدلاً منها صورة صدام[56]، وغيرها من مواقف تؤكد تناقض شخصيته. وبالنسبة للمكان يرى المؤلف أن طبيعة الروايات الديستوبية تميل إلى الأماكن المغلقة بكثرة، فتتردد أماكن الإقامة الجبرية كالسجن والأماكن المعزولة المفروض على الإنسان التواجد بها. أما عن الزمن فلا يفرق في تناوله عن الزمن في الروايات التقليدية، حيث يتحدث عن البنية الزمنية الخارجية التي تشمل زمن الكاتب، وزمن القارئ والزمن التاريخي، وينتهي إلى القول بأن العمل الروائي الديستوبي هو ابن الزمن وهو الأكثر التصاقًا به يدور حيثما يدور لكنه ليس بالسهولة التي كانت في الرواية الكلاسيكية، إنما الرواية الديستوبية ما هي إلا نتاجٌ زمن طويل من التجارب الروائية أثمرت عن استشراف نتيجة التماهي مع الزمن وربطه بالحدث.

الملاحظة المهمة: أن الكتّاب على الرغم من أنه يعتبر من الكتب المُبكّرة في تتبُع الظاهرة، وإخضاعها للبحث والتحليل، بتحديد مفهومها، والتأصيل لها، وتحليل النصوص المنتسبة إليها، إلا أنه لم يخرج في تحليلاته عن التحليلات المتبعة في بنية الرواية التقليدية، دون أن يُقدّم سمات وملامح خاصة لرواية الديستوبيا وانعكاستها على عناصر الرواية الأساسية، وقد اكتفى المؤلف باستحضار مقولات السرد التي عالجت بنية الرواية التقليدية، كما إن الدراسة اقتصرت فقط على الروايات التي ارتكزت بنيتها على استشراف المستقبل في صورة مأساوية، دون أن تتطرق إلى الروايات التي شكّل الواقع ديستوبياها الخاص، وتحديدًا سرديات السجن وروايات القاع، ومرجع هذا إلى قصره مفهوم رواية الديستوبيا على الرواية التي تستشرف المستقبل كما حدد في التعريف.

ثانيًّا: دراسة إنجي خالد أحمد المعنونة: "**اليوتوبيا والديستوبيا في رواية أحمد خالد توفيق**"، أوّل ملاحظة أن الدراسة قُدّمت لكلية الاقتصاد والعلوم السياسيّة، وليس لأقسام اللغة العربية في الجامعات، وهو ما يؤكد صلة روايات الديستوبيا بالسياسة، على نحو ما ربطتُ - من قبل- بينها وبين الرواية السياسية[57]. تنشغل الدراسة بمحور أساسي وهو كيف طغى مفهوم الديستوبيا على اليوتوبيا على نحو ما صوّرت روايات أحمد خالد توفيق. وفي مقدمة الدراسة تشير الباحثة إلى أن "هذا المفهوم (وتقصد اليوتوبيا) قد تعدى مراحل المُدن الخياليّة، الموصوفة على نحو أدبي خالص، وأصبح يتبع المشروعات السياسيّة التي تسعى إلى تحقيق النظام السياسي الأمثل"[58].

وفيما يتعلق بالمصطلح فتنسبه إلى خطابات جون ستيورت ميل البرلمانيّة عام 1868، وهو يندّد بالسياسات الحكومية وتعاملها مع الأراضي الأيرلندية، واللفظ مُستقى من اللغة الإغريقية، وهو الآخر ينقسم إلى قسمين: الأول ديس (Dys)، ويعني "**السيء**"، أما الشق الثاني فهو "طوبوس (Topos) أي "**المكان**" والمفهوم يصف المدينة الفاسدة التي تجلّت فيها المخاوف الاجتماعية الكبرى على نحو: "الجرائم غير المكبوحة، والظلم، والفتن، والقهر، والاستبداد، والعنف، والتعاسة المخيِّمة"[59]

أما عن أسباب اختيارها لأدب أحمد خالد توفيق، فترجعها إلى أن أعماله تُعدّ "***نموذجًا لهذه الحالة حيث اختلال توازن الأدب اليوتوبي نتيجة لازدياد سطوة الأدب الديستوبي!***" [60] (وعلامة التعجب من عندي). ثم بعد ذلك تقوم الباحثة برصد السياق السياسي الذي شكّل وعي أحمد خالد توفيق، وقد لعب دورًا مهمًا في ترسيخ مثل هذه المفاهيم لديه، فعلى نحو ما ربطت بين نشأة الديستوبيا في الثقافة الغربية[61] فقد كان للسياقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية دورها في تشكيل وعي توفيق، وأثرها في معالجاته الروائية، فالباحثة (بصفة عامة) معنية بإظهار مدى تأثير السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ومن ثمّ ركّزت على دراسة هذه السياقات، وبعدها قامت بقراءة لنصوص رواياته من أجل فَهم القوانين التي تَحْكُم هذه النصوص. وتأتي الدراسة في ثلاثة فصول هي: روايات أحمد خالد توفيق بين سياقها وتجربته الذاتية، وتحدثت في هذا الفصل بتوسع عن السياق السياسي العالمي والإقليمي والمحلي، وثم السياق الاقتصادي - الاجتماعي العالمي الإقليمي والمحلي، وفيه تطرقت أيضًا إلى نشأة أحمد خالد توفيق واهتماماته، والعوامل التي أسهمت في تكوينه، أما الفصل الثاني فهو انشغل باليوتوبيا في رواياته، وتوقفت عند أسباب نشأة اليوتوبيا في الروايات، وملامح هذه اليوتوبيا ثم انتقلت إلى التوازي بين اليوتوبيا والديستوبيا في الروايات، أما الفصل الثالث والأخير، فأوقفته على دراسة الديستوبيا في رواياته، وأظهرت ملامح الديستوبيا السياسية والقانونية في الروايات، ثم ملامح الديستوبيا الاقتصادية والاجتماعية في الروايات، وأخيرًا درست في المبحث

الثالث محاولات المقاومة ومآلات الديستوبيا في الروايات. ولم تختلف في تحليلاتها ونتائجها عن معظم من تناولوا رواية الديستوبيا بالتحليل، بالاعتماد على مقولات السرد، ونظرية الرواية التي انشغلت بالرواية بصفة عامة.

4. المحور الثاني: تلقي الديستوبيا على مستوى الدراسات النقدية

تعددت الدراسات التي اتخذت مِن مصطلحي اليوتوبيا والديستوبيا مجالاً للفحص والتحليل النقديين، ومع هذا التعدد فثمة روابط تجمع بين بنية هذه الدراسات، والآليات (أو الأدوات النقدية) التي اعتمدها الباحثون (والباحثات) مدارًا لدراستهم / هن، وهو ما سأتوقف عنده بتفصيل عبر النتائج التي تلي هذا التحليل. وبناء على هذا فسوف أتوقف عند مختارات من هذه الدراسات، كآلية إجرائية لبيان كيفية التلقي العربي في الممارسة النقدية المستقلة.

تناولت دراسة أسماء إبراهيم حسين شنقار:"***الرواية الديستوبية المصرية: مظاهرها، ولغتها***"[62]، نماذج متعددة من روايات الديستوبيا، وهي تنقسم إلى ستة مباحث وفقًا لتقسيمها، لكن من وجهة نظري يمكن إدراج المباحث الستة إلى قسمين؛ الأول بمثابة مهاد نظري طويل تطرقت فيه إلى المفاهيم الأساسية التي ترتبط بموضوع دراستها وهي: الأدب واستشراف المستقبل، وأدب الخيال العلمي، واليوتوبيا، والديستوبيا (تعريفها ومفهومها)، وأتبعت هذا باستعراض لأهم الأعمال التي تنتمي لرواية الديستوبيا في مدونتي السرد الغربية والعربية، وقد ركزت في الرواية العربية (وتحديدًا المصرية على أربعة أعمال هي: "**رواية يوتوبيا**" (2008) لأحمد خالد توفيق، و"**ممر الفئران**" (2016) للمؤلف نفسه، و"**عُطارد**"(2015) لمحمد ربيع، ورواية "**قواعد جارتين**" (جزأن: 2018، 2019) لعمرو عبد الحميد، أما القسم الثاني فهو بمثابة الممارسة التطبيقية للإطار النظري، حيث درست مظاهر الديستوبيا في الرواية عينة البحث، ساعية إلى عقد مقارنة بين الروايات، لبيان أوجه التشابه والاختلاف، وبينها وبين مثيلاتها في الغرب[63]، ثم تتطرّق إلى اللغة المشكّلة لروايات الديستوبيا عينة البحث، وتركيزها على اللغة (على خلاف معظم الدراسات) لأن اللغة من وجهة نظرها وسيلة استخدامها الخطاب "للتأثير على الجمهور، فاللغة هي الأداة الأساسية التي تصاغ بها الأيديولوجيا وتتشكل،... ومن ثم تمنيط أفعالهم بما يتوافق وهوى الأنظمة الشمولية"[64]، وتختتم الدراسة برؤيتها عن واقع الديستوبيا العربية إلى أين؟

تُسهب الكاتبة في الجزء النظري في تعريف المصطلحات، وتعود إلى مرجع أساسي هو "**المدينة الفاضلة عبر التاريخ**"، متتبعة مفهوم اليوتوبيا، والتغيّرات التي لحقت به، ومع اعترافها أن المصطلح

يعود إلى كتاب توماس مور "**المدينة الفاضلة**" إلا أنه يضرب بجذوره إلى جمهورية أفلاطون، وتربط بين مدينة الفارابي الفاضلة (ت: 339هـ- 950م) وهذا النوع. وتسهب الباحثة في تعريفات اليوتوبيا، وأوجهها، وأهدافها، والكتابات التي تندرج تحت هذا النوع، ثمّ تتحدث عن مفهوم الديستوبيا الذي حلّ بعد تغير الأحوال، وشيوع روح التشاؤم والفزع محل التفاؤل والأمل، وترجع ظهور الديستوبيا إلى نشوب الحربين العالميتين الأولى والثانية، وظهور وباء الأنفلونزا، وحدوث الكساد العظيم، ونشوء الحرب الكورية، والحرب في فيتنام، وغيرها من القرن العشرين"[65]، وكذلك لسيطرة المادة، وتراجع أهمية الإنسان، ومكانته وإحلال الآلة محله، وسيطرة الذكاءات الصناعية، وترى أن الديستوبيا تعتمد على "نقد غير مباشر للمجتمع، والنظم المختلفة"[66].

في استعراضها لتمثيلات من روايات الديستوبيا الغربية، تقوم بتلخيص النماذج الروائية، وتعرض لأهم أفكار الروايات، رغبة في استجلاء مظاهر الديستوبيا التي عبرت عنها الروايات عينة البحث مثل: "**عالم شجاع جديد**" لهكسلي، و"***1984***" و"***مزرعة الحيوانات***" لجورج أورويل، والحقيقة أنها قدمت مجرد تلخيص لمضامين الروايات، دون الوقوف على التقنيات الفنية التي اعتمدتها الروايات كآلية تصوغ بها موضوعها الذي يتسم بنقد الأوضاع السياسية والاجتماعيّة، ويقدم تحذيرًا للبشرية عن مآلها بعد سيطرة التكنولوجيا (عالم شجاع جديد)، والفكر الشمولي (1984، ومزرعة الحيوانات)، ولا يختلف الأمر كثيرًا في تمثيلات روايات الديستوبيا العربيّة، فتتوقف كثيرًا عند مؤلفي الروايات، وعرضت ملخصًا لأحداث الرواية، ومن ثم استنتجت أهم التيمات التي انشغلت عليها، فرواية "***يوتوبيا***" لأحمد خالد توفيق التي تستشرف الحياة في مصر بعد عام 2020، حيث يكوِّن الأثرياء مستعمرة يوتوبيا على الساحل الشمالي ليحموا أنفسهم من بحر الفقر الغاضب، وهي مستعمرات مُحصّنة بالأسوار العالية، والأسلاك المكهربة، والدوريات الحارسة التي تقوم بها شركة سيفكو والتي أكثر العاملين فيها من المارينز، وبعد عرض لباقي الروايات "***قواعد جارتين، وعطارد***" والأخيرة تصفها بأنها "**ديستوبيا مجتمعية**"[67]، حيث ركزت الرواية على "انهيار المنظومة الأخلاقية أكثر واضمحلال الأخلاق في المجتمع بشكل كبير جدًّا، والتغير في الشخصية المصرية وما لحقها من حالة اللامبالاة الشديدة والاستسلام والانهزامية"[68].

لا تختلف ملامح الديستوبيا التي رصدتها الباحثة من استقرائها للروايات المُمثِّلة عن تلك التي وردت عند معظم الباحثين، فالسمة الغالبة لرواية الديستوبيا هي تكريس الطبقيّة، وإحداث تفاوت بين أفراد المجتمع، وطمس التاريخ، ومراقبة الأفكار وتزييف الوعي، والتحوّل القيميّ في منظومة الأخلاق، وما رافقه من تحلّل ديني وخُلقي، واتسام الأشخاص بالعبثية واللامبالاة، ثم تفشّي الدموية،

حيث القتل العشوائي والمنظّم أحيانًا هو المطرد داخل روايات الديستوبيا. وبالنسبة إلى عنصر اللغة[69] فالباحثة من خلال فحصها لتمثيلات من روايات الديستوبيا عينة بحثها، تنتهي إلى أن صُنع معادلة (غير متكافئة مع الأسف) مفادها أن العلاقة طرديّة بين جمال النفس والفكر والخُلق ورُقي اللغة المستخدمة، ففساد الواقع يتبعه فساد اللغة المعبِّرة عنه، ومن ثمّ كما تقول "فمن المنطقي أن يستخدم كاتب الرواية الديستوبية أقبح الألفاظ الموجودة في المجتمع المتدني، بل والألفاظ المتوقع انتشارها أيضًا في المستقبل في الروايات الديستوبية" وتستكمل: "وبذلك تصبح الروايات الديستوبية الديالوجية مستنقعًا للألفاظ القبيحة والسوقيّة، وتصبح الروايات المونولوجيّة ذات المظهر الحواري مرقعة مهلهلة بين لغة سوقية ولغة عالية أدبية، فيحدث خللاً واضحًا في مستويات اللغة المستخدمة"[70]

4.1. في دراسة غادة طوسون ***"الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد بين ألدوس هكسلي وإبراهيم نصر الله (دراسة مقارنة)"***، وفقًا لعنوان الدارسة، تسعى الباحثة لإجراء مقارنة بين نص غربي وآخر عربي، من أجل تسليط الضوء على نتاج جديد ظهر في البيئات الأدبية؛ لذا تبتغي "الكشف عن ملامح التشكيل وآليات السرد في روايات ما بعد الحداثة، والمتمثلة في روايات المدن المضادة أو الديستوبيا"[71]، وعنصر المقارنة اعتمادًا على منهج المدرسة الأمريكية، يتمثّل كما تقول "لحضور السرد الديستوبي في البيئتين الغربية والعربية"[72]، إضافة إلى السياقات التي أنتجت الروايتين، فرواية هكسلي كتبها "مدفوعًا ببغضه لروايات المدينة الفاضلة التي كتبها ويلز، ولا سيما "**رجال كالآلهة**" 1923، إلى جانب التكهنات السائدة في تلك الفترة حول الهندسة الحيوية"، كما أن وجوده في الولايات المتحدة الأمريكية أيقن بـ"خطورة الوجود الأمريكي على البشرية، من **خلال** تمركز السلطة السياسية بها ومحو الخصوصية الفردية وحرية الشعوب"، فالكتاب كان بمثابة نبوءة تحذيرية "من ممارسات تلك القوة الضخمة المتجردة"[73]، أما سبب اختيار الكاتب إبراهيم نصر الله فيعود إلى أنه قدم- حسبما ترى الدِّراسة والدَّارسة - "في روايته ... تحولات واقعه العربي؛ ليكون محفزًا لظهور ديستوبيا المدن العربية التي تحمل تشوهات المجتمع وقسوة العالم وتدمير الشعوب"، وكما يقول بنفسه أن "الارتباك الذي أصابه من الداخل تجاه الواقع المأزوم وعلاقة البشر ببعضها، ربما كان من المحركات لكتابة هذه الرواية - حرب الكلبة الثانية - فكل حدث يتراكم في داخلنا يتحول في لحظة ما إلى عمل إبداعي، ورواية "**حرب الكلبة الثانية**" هي رواية التراكم الكبير الذي تشكّل عبر كل الأعمال التي كتبتها"، ومن ثم تكون الرواية بمثابة تحذيرًا استشرافيًّا من سيطرة الآخر الغربي على الأنا العربية من خلال بعض الأنظمة العربية"[74].

جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث، الأوّل بعنوان **مفاهيم نظرية**، وتطرقت فيه لمفاهيم اليوتوبيا، والديستوبيا، والسرد الديستوبي بين الشرق والغرب، وأدب الخيال العلمي والرواية الديستوبية، والمبحث الثاني، أشبه بمحاولة استقراء لملامح الديستوبيا في الروايتين مادة الاختبار، أما المبحث الثالث فهو عن آليات السرد الديستوبي في الروايتين، وانقسم إلى أربعة محاور: النص الموازي وسيمياء العنوان، الرؤية السردية، بنية الكرونوتوب في روايات الديستوبيا، وأخيرًا، تمظهرات الشخصية في الرواية الديستوبيا".

في المبحث الأول استعراض للمفاهيم المتعلّقة برواية الديستوبيا، كاليوتوبيا والخيال العلمي، وتواريخ نشأتها، وسمات كل نوع على حدة، وإن كانت تستشف أن المدينة الفاضلة قد تساعد في نشأة الديستوبيا، ثم تدلل بنماذج أدبية ممثلة لرواية الديستوبيا كما قدمتها السردية الغربية، ثم تذكر لنماذج ممثلة في سياق أدبيات العرب، وترى أن هذا النوع جاء متأخرًا عن مثيله الغربي، فتشير إلى الإرهاصات الأولى في الرواية الكلاسيكية ممثلة في جمهورية فرحات ليوسف إدريس، إلا أن النضوج الفني يحضر في رواية "**يوتوبيا**" (2008) لأحمد خالد توفيق، ثم "**عُطارد**" (2015) لمحمد ربيع التي تصوّر المستقبل الأسود عام 2025، ومن النماذج العربية التي تذكرها رواية الأردني "إبراهيم نصر الله" "**حرب الكلبة الثانية**" (2018)، و"**الانحاء على جثة عمّان**" للأردني أحمد الزعتري، ورواية الجزائري واسيني الأعرج "**2084: حكاية العربي الأخير**"، والتي يرصد فيها الأعرج رؤية مستقبليّة كارثية للعالم بعد خمسين سنة.

وترى أن السياقات[75] الثقافية والاجتماعية والسياسية هي السبب في نتاج هذه الروايات، التي هي "روايات استشرافية في المقام الأول، بالإضافة إلى اهتمامها بالحديث عن قضايا الجنس الممنوع، والخرافات، و...."،[76] أما عن ملامح رواية الديستوبيا في الروايتين فحددتها في الآتي: المراقبة والقضاء على الخصوصية، حيث شُغلت الروايتان بنفي ذاتية الفرد، واختراق مواطن خصوصيته، بانتشار تقنيات المراقبة في كل مكان، وسياسة التعقب، وبدأت أجهزة الحكم في إلغاء خصوصية الأفراد على نحو ما فعلت "القلعة أو مركز التحكم" في رواية حرب الكلبة الثانية، وتجاوزت قدراتها حدودًا كبيرة حيث صار باستطاعتها أن تقك الشفرة الوراثية لعين طائر البوم، وقدرتها على الإبصار ليلا، كما انشغلت الرواية الديستوبية عبر النموذجين بالاستنساخ والتلاعب الجيني وهو ما يؤدي في النهاية إلى فقدان الأشخاص لهويتهم، وتفرق بين الاستنساخ عند نصر الله بأنه كان يجرى عبر عمليات جراحية، ثم يأتي التقسيم الطبقي الذي يعد أهم مظهر للمدن الديستوبية، حيث عدم المساواة بين البشر، وانتشار العنصرية الطبقية، والإبقاء على صورة المجتمع المجزأ إلى شرائح متفاوتة، بين قمة يعتليها

الحكام المعصومون من الخطأ، والممتلكون لقدرات خارقة وقوى علمية، والأهم تحكمهم في مصائر البشر،[77] ولأن مدن الديستوبيا تقوم على تجهيل الطبقات الدُّنا ومعاملتهم كأسرى حرب، فإن من ملامحها هدم التاريخ ومحو الماضي، كي لا تحدث المقارنات بين ما كان من مثل وقيم وحضارات، وبين ما هم فيه من خراب وفوضى واستعباد،[78] **فالتاريخ هراء** كما قال أحد أبطال هكسلي، أما بطل نصر الله "**راشد**" قام "بإلغاء ماضيه وذاكراته السوداء"، كما آمن بضرورة "كتابة تاريخ جديد، مع ضرورة طمس ذاكرة الماضي السوداء"، ويسود في هذه الروايات اللا دين، فانهيار القيم تبعه انهيار أكبر تمثل في استهجان التعاليم الدينية والسخرية منها، بل والمعاقبة عليها، وهو ما يشيع الحرية الجنسية، وعدم الالتزام بالتقاليد ولا الآداب، والغريب أنه يتم ترسيخ مثل هذه المفاهيم في أذهان الأطفال.

وكان المبحث الثاني محاولة **لاستكشاف جماليات الرواية الديستوبية** (أو تحليل البنية الفنية لروايات الديستوبيا) من خلال عناصرها البنائية، فكما تقول إن "الروايات الديستوبيا روايات قائمة على فنتازيا الحدث السردي، ورديفًا لروايات الخيال العلمي" مما يتطلب نوعًا خاصًا من الخطاب الحكائي الكاشف عن مفاهيم الرواية ومقاصدها"،[79] وفي محاولتها للاستكشاف ملامح هذا الخطاب توقفت عند العناصر الآتية: النص الموازي وسيمياء العنوان، والرؤية السردية، وبنية الكرونوتوب، ثم تمظهرات الشخصية في روايات الديستوبيا. في الحقيقة أن الملامح الخطاب استندت لاستظهارها على آليات وأساليب السرد القديم في التحليل، فتحلل عتبة العنوان، وتبحث في دلالتها على المتلقي، وبالمثل يتكرر الأمر في الرؤية السردية، فتتطرق للحديث عن تعدد الرواة داخل الروايتين، وما تطلب (حسب قولها) تعدد وجعات النظر داخل الروايتين.

بصفة عامة أن التحليل لم يفضِ إلى نتائج تسم البنية التشكيلية لروايات الديستوبيا بسمات تفرقها عن الرواية التقليدية[80]، خاصة وأن الباحثة تستخدم ذات الأدوات النقدية المستخدمات في مقاربات الرواية الكلاسيكية، فتتحدث عن الرؤية مع ، والرؤية من خلف، ودرجة تموقع الراوي، دون أن تقدم لنا ما الجمالية الخاصة التي تنعكس على التشكيل السردي لرواية الديستوبيا، الخلاصة التي تنتهي إليها هكذا: " فيمكن القول ... إن اعتماد الكاتبيْن في رؤيتهما السردية على فكرة تعدّد الرواة قد أعطى رؤيتهما موضع التطبيق سمة مميزة حيث كانت الحاجة إلى نقل مجموعة كبيرة من الأحداث والوقائع الخيالية بشكل جديد لم يألفه القارئ من قبل، مما أعطى الفرصة إلى زيادة مصادر التلقي وخلق عالم روائي متنوّع خدم هذا الشكل الحداثي من الروايات".[81]

وفي محاولة استجلاء تمظهرات الكرونوتوب في الروايتين، تستند كلية إلى ملفوظات ميخائيل باخيتن الخاصة بالكرونوتوب، وترى أن تمرد الروايتيْن على خطيّة الزمن والمكان المألوفين، وهذا التمرد يتحقّق عبر تداخل الماضي بالحاضر، والمستقبل في جدل غير منتهي [كذا] ليتخلخل الاتصال داخل النص"، [82] أما عن الزمن فهو نسبي غير ثابت، والسبب عندها "أن حالة اللاوقع التي يفرضها النص، جعلت من العسير تحديد نقاط البدأ والنهاية في عالم الديستوبيا، كذا فإن استخدام المخدرات خلق أزمنة افتراضية أشبه بالأحلام والهواجس"[83]، واعتمادًا على هذه الرؤية تواصل قولها بأنه ليس غريبًا اختفاء دور العبادة من مدن الفساد والاستنتساخ، حيث مدن الديستوبيا تهدم تابوهات القيم الدينية وتحرق الكتب المقدّسة، وتقيم ثوابتها على محرمات الدين، بل تحول الأماكن المنفردة كالسجن والمستشفى إلى أماكن أليفة، في قلب لوظيفتها في الواقع.

وفيما يتعلق بالشخصيات فتقول إن رواية الديستوبيا خلت من الشخصيات التقليدية وهي ملاحظة دقيقة للأمانة، فلا "يوجد بطولة مطلقة، أو حضور شخصيات مهمّشة أو مساعدة، فالجميع يظهر في مشاهد سردية متقطِّعة دون طغيان شخصية على أخرى"،[84] ومع الأسف هذا لم ينطبق على رواية نصر الله "**حرب الكلبة الثانية**" إذ اعتمد في بناء شخصياته على التقسيم التقليدي: شخصيات رئيسية (راشد، سلام، الراصد الجوي)، وشخصيات مساعدة / ثانوية (سائق الإسعاف، والمدير العام أو مدير القلعة، وشخصية الرجل ذو القميص الأحمر)، وفي حالة رسم الشخصيات فالغالب هو رسم الشخصيات بأبعاد خيالية، وهو ما فعله هكسلي، أما نصر الله، فقد رسم للشخصيات أبعادًا نفسيّة، وجسدية واجتماعي"، مع تغييب تام لدور المرأة من خلال النموذجين، وهي ملاحظة كان يمكن استثمارها في نتائج تتعلق بالأبوية والشمولية التي تسيطر على روايات الديستوبيا لكن مع الأسف لم تتوقف عندها الباحثة.

ومن ضمن النتائج التي رصدتها الباحثة قولها: ساهمت روايات الديستوبيا الغربية في تحديد مسار الروايات الديستوبية العربية، وذلك لأسبقية حضورها في الفكر النقدي الغربي" ومع الأسف لم توضح كيف، على الرغم تباين الموضوعات التي عالجتها روايات الديستوبيا الغربية مقارنة بالرواية العربية، فالإسهام الوحيد إن كان فهو يتمثل في "**الرؤية المستقبلية للعالم**"، أما عن كيف هذا وما هي التنبوءات، فمع الأسف فشلت الرواية العربية - على قدر علمي - في إحداث تنبوءات واكتشافات علمية على نحو ما ظهر في روايات الديتسوبيا الغربية، كأطفال الأنابيب كما تنبأ هكسلي نفسه، وغيرها من اختراعات كشفت عنها الرؤية المستقبلية التي تضمنتها رواياتهم، وفي بعضها كانت تحذيرًا من سطوة التنكولوجيا ومخاطرها على الإنسان، ومن ثم جاءت روايات الديستوبيا كصرخة احتجاج

وتحذير في نفس الوقت، لمآل الإنسان في ظل سطوة النظام الشمولي، وهيمنة التنكولوجيا على كافة المقدرات.

5 . بين الأداة والاختبار

بعد استعراض لنماذج من التلقي العربي (عبر الكتب والدراسات) التي وضعت مفهوم الديستوبيا مجالاً للاشتغال النقدي تطبيقًا على نصوص روائية، سوف أتوقف عند أهم الملاحظات العامة في محاولة للكشف عن آليات التعامل مع المفهوم، وحدود اختبار المنهج في التطبيق، والسمات الخاصة للنوع الجديد، وتأثيره على الشكل الروائي إن وجد.

1. عمدت جميع الدراسات النقدية (قيد الدراسة) التي اشتغلت تطبيقيًّا على نماذج عربية في محاولة لاستجلاء مفهوم الديستوبيا، إلى تقسيم الدراسات إلى جزأين؛ الأول أشبه بمقدمة نظرية اعتنت بتحديد مفهوم الديستوبيا، ونشأتها في مدونة السرد الغربي، والعجيب أن هذه المقدمة النظرية للتأصيل للمفهوم وتعريفه، تكاد تكون متطابقة، دون إضافة واحدة أو حتى تغيير المصطلحات الواردة، وهو ما يشير إلى أن جميع الأبحاث استقت من مصدر واحد، دون مراعاة لطبيعة الروايات وسياقاتها، أما الجزء الثاني فكان أشبه بمقاربة نقدية على الرواية (أو الروايات) موضع الدراسة، فاعتنت بتحليلها فنيًّا، وصدرت للدراسة بنبذة عن المؤلف، وهناك مَن قدّم ملخصًا للعمل الروائي.
2. لم تستقر مدونة النقد العربي على مصطلح محدّد يسم الظاهرة، فنرى تفاوتًا في استخدام المصطلح في التلقي العربي، ففي بعض الدراسات جرى تعريب الكلمة الإنجليزية Dystopia، وفي البعض الآخر تمّ استخدام مصطلح "***أدب المدينة الفاسدة***" كنقيض للمدينة الفاضلة، ومرة ثالثة تمّ الجمع بين المصطلحين، هكذا: "**الديستوبيا : أدب المدينة الفاضلة**"، وهناك "**اليوتوبيا المضادّة**"، وعدم الاستقرار على مصطلح يؤكد غياب المنهجية، واستسهال اعتماد المصطلح الغربي في التداول دون التحقّق من قابلية السياق الثقافي العربي له.
3. اتفقت معظم الدراسات (سواء الكتب، أو الدراسات المستقلة) إلى إرجاع نشأة المصطلح إلى السياقات الغربية، وتحديدًا إلى الربع الأول من القرن العشرين، وهناك مَن التمسه عند فلسفة فريدريك نيتشه العدمية، وأيديولوجيات الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي، لكن في الحقيقة ثمة إغفال تام لتردده في آداب الشرق قبل بزوغ الفكرة في السياقات الغربية بردح من الزمن حيث نبوءة **الحكيم نفرتي**، وهي إحدى نصوص الأدب المصري القديم، والنبوءة عبارة عن

نص تدور أحداثه في عصر الفرعون سنفرو، وإن كانت كتبت خلال عصر الأسرة الثانية عشرة.[85]

موضوع النص حول: "دعوة سنفرو الحكيم (نفرتي) ليحضر مجلسه، ليسلّيه، فسأله الحكيم عمّا إذا كان يودّ أن يعرف عن الماضي أو المستقبل، فاختار الملك المستقبل. عندئذ وصف الحكيم نفرتي بإسهاب رؤيته لمستقبل مصر هكذا: "إنه سيعصف بها الفوضى وستنقلب جميع الأعراف الاجتماعية، والطبيعية، وإن كان في النهاية يتنبأ نفرتي بمجئ ملك في المستقبل يدعى "أميني"، الذي سوف يعيد النظام إلى البلاد". وقد تنبأت هذه الحكاية بالانهيار الكامل للمجتمع، حيث "**العظماء لم يعودوا يحكمون الأرض**"، **وفي الوقت ذاته "سيتمّ تعظيم العبيد**"، وتنتشر الجريمة والسرقة والقتل، ويتحوّل النيل إلى اللون الأحمر الدموي بسبب الجثث التي تطفو فيه. ومن بين نبوءات نفرتي أن: «الحيوانات الوحوش سوف يشربون من الماء في مصر... ولن يكون هناك مكان لقارب يستطيع المرور منه، لأن المياه قلت جدا.. ويُعبر النهر على الأرجل».

4. الرغبة في استثمار المصطلح الغربي بعد تردده في الأدبيات الغربيّة أوقعت الكثير من الباحثين في فخ السُّهولة والتسرع والخلط في ضبط المصطلح، فالجميع ربط بين الديستوبيا والمستقبل، والخراب الذي يمكن أن يحدث، لكن هناك مَن عرّف الديستوبيا على نحو جريجوري كلايس في كتابه "**ديستوبيا: التاريخ الطبيعي، دراسة الاستبداد الحديث وأسلافه وانحرافاته الأدبية**"[86] بأنها "**اليوتوبيا الفاشلة**" للشمولية في القرن العشرين، وهي تعني عنده "عادةً نظامًا يُحدّده الخوف الشديد، وعدم المساواة، والسجن، والعبودية" وهو ما يصف المجتمعات بالمتوحشة، وبالتالي يشيع حضورها في المجتمعات الليبرالية على الرغم من أن بعضها يتضمن ميولًا امتثالية، لكنها تشجّع القمع والتعصُّب القائمين على المساواة، ومع ذلك فإن العديد من المؤلفين يساوون ببساطة بين "**الشمولية**" و"**الديستوبيا**"، وقد يتمّ تعريف الديستوبيا نفسها، وخاصة "ديستوبيا الشيوعية" على أنها: "**نقيض اليوتوبيا**"؛ أي حالة جهنمية ناجمة عن محاولات بناء أنظمة مثالية غير قابلة للتحقيق، وفي النهاية يشير إلى ثلاثة أشكال رئيسيّة للمفهوم، وإن كانت مترابطة في كثير من الأحيان وهي: الواقع المرير السياسي؛ الواقع المرير البيئي. وأخيرًا، الديستوبيا التكنولوجية، حيث يهدد العلم والتكنولوجيا في نهاية المطاف بالسيطرة على البشرية أو تدميرها.

5. اعتمدت الدراسات (معظمها) كإجراء منهجي على المنهج الوصفي في التحليل، ويبرّر محمد عبد الناصر سبب اختياره هذا المنهج لأنه "يتيح للباحث تحليل الظواهر الأدبية في ضوء رؤية نقدية داخل النص، وتتبع أهم التيمات المهيمنة عليه، وذكر أهم ملامح التشكيل الفني في الرواية"[87].

أو لأن هذا المنهج كما يقول محمود أبو زهرة، "يرصد الملامح الديستوبية ومظاهرها النفسيّة، والمادية وانعكاسها في الرواية من خلال وصف نصوصها، وتحديد طرق بنائها، ومن ثم الخلوص إلى النتائج"[88]، وفي ظني نحت معظم الدراسات نفس المنحى. الاستثناء الوحيد هو دراسة إنجي خالد أحمد "**اليوتوبيا والديستوبيا**" حيث اعتمدت على منهج البنيوية التكوينية، وترى أنه الأنسب، ومرجع هذا إلى كما تقول إلى أنه "منهج جدلي يدرس الظواهر الأدبية من خلال تسليط الضوء على علاقاتها بالواقع الاجتماعي"[89].

6. أرجعت الدراسات (بنوعيها) أسباب شيوع المصطلح في السردية العربية، إلى أحداث الربيع العربي، والصدام بين الشعارات التي رُفعت في أثناء الثورات والسلطات المضادة لهذه الثورات، وقد تحوّل الصدام إلى عنف شديد، ومن ثمّ مالت رواية الثورة إلى تجسيد هذا العنف في صورة ديستوبية،[90] كمحاولة لإظهار فساد الأنظمة السياسية عبر رؤية تخيليّة، تتخيّل مدن المُستقبل وقد أقبضت الأجهزة الأيديولوجيّة (وفقًا لألتوسير) على مقاليد الأمور.

وهناك مَن أرجع هذا إلى علاقة المثاقفة مع الغرب حيث "حرص الروائي العربي على الحضور في المشهد الروائي العالمي، والتفاعل مع تحولات اللحظة في المحيط العربي الذي يمور بتحولات تهز جذع التاريخ العربي، وتثير أسئلةً عميقة في وجدان الجيل المعاصر؛ وتلك التحولات المحليّة لا يمكن أن تنفصم بحال من الأحوال عن مؤثرات عالمية مباشِرة، أو مؤثرات غير مباشِرة في لحظة زمنية أصبح العالمُ فيها قريةً واحدةً. وبذلك تكون الرواية العربية قد حققت "سمة التفاعل مع مختلف أشكال التعبير والتواصل، والاستفادة منها في تشكيل عوالمها، فأثرت فيها، وهي تأثرت بها"[91].

7. فعلى الرغم من ظهور المصطلح في الغرب منذ بداية القرن العشرين، إلا أنه لم يظهر في مدونة السرد العربي وكذلك في المدونة النقدية إلا متأخرًا، وأوّل بدايات حقيقية تجلّت عبر روايات البحث عن المدن المثالية اليوتوبيا، وهو ما عكسه عنوان قصة نهاد شريف «**سكان العالم الثاني**» (1977)، وهي قصة مجموعة من العلماء الشباب قاموا ببناء مدينة طوباوية في قاع البحر من أجل الفرار من حياة صعبة على الأرض. وعبد السلام البقالي «**الطوفان الأزرق**»(1976)؛ وحسين قدري «**هروب إلى الفضاء**» 1981، وصبري موسى «**السيد من حقل السبانخ**» 1984، وتوفيق الحكيم «**الطعام لكلّ فم**»، وأماني فريد «**همسات**»، ويوسف إدريس «**جمهورية فرحات**».

8. أغفلت الدراسات (بلا استثناء) أحد أهم ملامح الديستوبيا، والتي تعدّ في الوقت ذاته مشتركًا قويًّا بين النوعين: "**اليوتوبيا والديستوبيا**"، وأقصد الروح الجماعية، حيث يضحّي الناس بمصالحهم

الفردية من أجل الصالح العام. فالتضامن الاجتماعي يتفوق على الفردية الأنانية. في حالة المدن المثالية هو "**تواصل اجتماعي طواعية**"، ويتمّ المشاركة فيه بحرية، وقد يكون في حالة المُدن الفاسدة تحت مُسمّى "**التضامن الإجباري**" وهو في الحقيقة روح استبدادية، لكن في كلتا الحالتين هو تضامن بين أفراد الجماعة، وبالأحرى بين الأفراد والسلطة المنظمة للجماعة حياتهم أيّا كانت صفتها. تكون هذه الصفة «**التواصل الاجتماعي المعزز**» كما يُطلق عليها هنا، طواعية ويتمّ المشاركة فيها بحرية، ويُنظر إليها على أنها ثمن مقبول يجب دفعه مقابل تجنُّب الاضطرابات وعدم المساواة الشديدة. ومع ذلك، في الواقع المرير، تظهر هذه الروابط في كثير من الأحيان على أنها ما يسميه ليزيك كولاكوفسكي "**التضامن الإجباري**". فهم هنا مكرهون، بل ومشروطون باستعباد الآخرين. هذا الإكراه يؤدي بشكل أساسي إلى تآكل كل ما له قيمة حقيقية في التضامن. ومع ذلك، ولإرباك الأمور بشكل أكبر، يختلط كلا النوعين أيضًا بطرق مختلفة ومعقدة.

9. عمدت جميع الدراسات إلى وضع حدود فاصلة بين مفهومي اليوتوبيا والديستوبيا، على اعتبار الثانية نقيضة للأولى، وأن مدن اليوتوبيا هي مدن الأحلام، أو المدن المثالية التي ينشدها الجميع هربًا من قسوة الواقع أو إكراهات السياسة، دون الأخذ في الاعتبار إلى إمكانية التداخل بين المفهومين، وأن في كثير من روايات اليوتوبيا عناصر كامنة داخل المدينة الفاضلة منذ نص توماس مور، والمثال الواضح على هذا أن دانيال دايفو في رواية "**روبنسون كروزو**" (1719) عندما سعى إلى تأسيس مدينته الخاصة، بعيدًا عن موطنه، كان يؤسّس إلى فكر استعماري بغيض ومبكر جدًّا (أي ديستوبيا، وهو ما يعني أن كل يوتوبيا تحمل داخلها ديستوبياها)، حيث فرض على صاحب الأرض أفكاره، وسلبه هويته واسمه، بمنحه اسمًا جديدًا، وسعى إلى تعليمه لغته، دون أن يحاول أن يتعلم لغته.

10. حصرت الدراسات الرواية الديستوبية في الرواية المستقبليّة التي تعكس حالة من الدمار البشري سواء استخدام التكنولوجيا، أو تلك التي يفرضها الأخ الكبير (لو استعرنا عبارة جوروج اورويل)، متغاضين عن رواية الاستبداد السياسي[92]، التي تعكس نوعًا من الديكتاتورية الشمولية، حيث يوصف الحكم بالخوف والقمع والترهيب. فتوماس هوبز يؤكد "استخدام الخوف كأداة للسيطرة وكذلك للترابط الاجتماعي"[93]. فالاستبداد - كما يقول أرسطو - ينطوي على قلب الصداقة وتبنّي "كل الوسائل لجعل كل فرد غريبًا قدر الإمكان عن الآخرين"، وقد كان مونتسكيو في "**روح القوانين**" أوّل منظّر بارز في القرن الثامن عشر يعرّف الإرهاب باعتباره المبدأ الحاكم للاستبداد ويندرج تحت هذا النوع روايات السجن[94] وما تكشفه عن سردية امتهان

وإذلال وتدجين يصل إلى المحو، لما يتعرض له المساجين من وسائل قمع وتعذيب، يعجز الخيال البشري عن إدراكها، فتتبدل شخصيته قبل وبعد السجن[95]، فحسب وجهة نظري تلتقي رواية السجن (وتحديدًا السجن السياسي) برواية الديستوبيا لسببين، الأول لأن المضطهدين كانوا يرفعون شعارات الحُلم واليوتوبيا، والرغبة في العدالة والمساواة، والحرية والديموقراطيّة، وهو قوبل برفض ومنع ومصادرة وتغييب بالحبس من قبل الحكومات الديكتاتورية، وفي السجن "تستطيع الحكومة أن تتحكم بحرية الشخص، وبوقت المعتقل"[96].

وثانيًا، لأن وسائل التعذيب التي مارستها أجهزة الدولة بناء على أوامر السلطة الحاكمة (المباشرة وغير المباشرة) فاقت مثيلاتها في المدن الفاسدة، لدرجة أن يتحول الجسد إلى "**كومة من اللحم المعجون بالدم**".[97] وقد أفاد هذا مشيل فوكو في مقارباته عن مجتمعات العقاب، فأشار إلى ظهور «يوتوبيا المجتمع العقابي الشامل والعلني» في أوائل القرن التاسع عشر، حيث تعمل الآليات العقابية النشطة بلا توقف دون تأخير أو وساطة أو عدم يقين؛ قانون واحد، مثالي بشكل مضاعف لأنه مثالي في حساباته ومنقوش في أذهان كل مواطن من شأنه أن يوقف من أصله، جميع الممارسات غير القانونية".[98]

11. تجربة السجن واحدة من أقسى التجارب التي يعيشها الإنسان، فهو كما يقول مراد في رسالته لصديقه نور "***السجن أفظع واقعة في الحياة، غربة حديدة صدئة***"،[99] فالسجن هو من أكثر الأمكنة نفورًا ونقيضًا لأماكن الألفة التي ذكرها باشلار، فهو المكان المُعادي بامتياز، إن لم يكن أكثر الأمكنة تمثيلاً للترويع والترهيب، وسحقًا للذات، ويمكن القول بأن السجن نقيض الحياة، فنظام المراقبة والمعاقبة، هو نقيض الحرية والإرادة الفردية. ولئن كانت الذات تستعيد وجودها / هويتها في الأماكن الأليفة التي تُذكّرها بالبيت والطفولة والرحم الذي هو موئل الاستقرار والأمان، فإن الذات في السجن تكون مُستلبَة تمامًا، مفتقدة للاستقرار والأمان (أي السلام الجسدي والنفسي معًا)؛ لأنها واقعة تحت حصارين؛ أولهما: مادي (بالسجن والقيود)، وثانيهما: معنوي حيث الذات خاضعة للمراقبة والتلصص، ومن ثمّ تفقد استقلاليتها وهويتها المشكّلة لها.

ومن الممكن الإشارة إلى رواية ***"تلك الرائحة"*** (1966) لصنع الله إبراهيم ***"الكرنك"*** (1974) لنجيب محفوظ، و"**شرق المتوسط**" (1975) لعبد الرحمن منيف، ثم ""**يوميات الواحات**" (2004)، لصنع الله إبراهيم، و***"القوقعة"*** 2008 لمصطفى خليفة، و***"الزنزانة"*** لفتحي عبد الفتاح، و***"السرداب 2"***، ليوسف الصايغ، و"**تلك العتمة الباهرة**" للطاهر بن جلون (2003)، ***"تازمامت: الزنزانة رقم 10"*** لمحمد المروزقي (2012)، ورواية ***"العقاب"*** (2018) للطاهر بن

جلون، وأيضًا شهادت "***تسع عشرة امرأة: سوريات يروين***" (2018) لسمر يزبك وغيرها من أعمال، فكتابات السجن كما تقول رضوى عاشور "تفصح عن ملمح أساسي من ملامح واقع عربي محاصر بين الغُزاة والطغاة".[100]

12. توقفت الدراسات عند أسباب اطراد رواية الديستوبيا في السردية العربية، وحصرتها في أسباب منها، أنها جاءت كمحاكة للنمط الديستوبي الغربي،[101] ثم للهزائم المتتالية بعد أحداث عاصفة شهدتها الدول العربية ومتغيرات عالمية أثّرت بضراوة على الواقع العربي، فشرع الروائيون العرب في رسم ملامح مدينة فاسدة مستقبلية يسودها الظلم والفساد والظلام وتخبو فيها الآمال والمطامح في مستقبل مشرق، متكئين على إرث روائي وفلسفي عنيت به المجتمعات الغربية في القرن العشرين متناسين أن ملامح الديستوبيا يمكن أن نلمحها في مرويات قبل روايات الربيع العربي، وتحديدًا الرواية السياسية التي قدمت صورة مقززة لواقع تحكمه الأجهزة الأيديولوجيا وفقًا لرغبة الحاكم، وتماشيًّا مع أهوائه على نحو ما وضح بن سالم حميش في رواية "***مجنون الحكم***"، فالسلطة كما يقول فوكو لم يعد الجسد عندها هو المستهدف بالتعذيب والإيذاء، بل صارت "قابضة متغلغلة ونافذة في أوصال المجتمع وكافة مؤسساته، تضمن سيطرتها على أرواح المواطنين وأبدانهم"[102] هذا عن الغرب، أما في عالمنا العربي فالسلطة جمعت بين الأدوات القديمة من تعذيب[103] وفي الوقت ذاته أخذت ترسخ سلطتها وقيودها في المجتمع ككل عبر مؤسسات تضمن محاصرة المختلِف، سجن في السجن، وسجن خارج السجن[104].

13. اعتمدت الدراسات أثناء الممارسة التطبيقية لمفهوم الديستوبيا في الرواية العربية، وبحثها عن جماليات خاصة لها، على طرائق وآليات التحليل المتبعة في المرويات التقليدية، دون اعتماد بنية تحليلية مميزة لرواية الديستوبيا، التي تختلف اختلافًا جذريًّا عن الرواية التقليدية في بنيتها وزمانها ورسم شخصياتها، وفي الوقت ذاته لم تقدم أوجه التقارب بينها وبين المرويات التقليديّة. فمثلا في دراسة محمود أبو زهرة، في حديثه عن البناء الفني لرواية الديستوبيا، يُصنِّف الحدث إلى قسمين، أحداث رئيسية وأحداث ثانوية، ونفس الشيء يفعله مع تقسيم الشخصيات، حيث يشير إلى علاقة الشخصيات بالبيئة الاجتماعية، وأثر هذا على طريقة تفكيرها، كما يربط بين غياب اسم البطل أو الإشارة إليه بحرف وانتساب الرواية إلى الحداثة"[105]

14. افتقدت الدراسات النقدية في تحليلاتها أهم عنصر مميز لرواية الديستوبيا وهو عنصر اللغة، كما تجلى بصورة واضحة عند أورويل، فعبر الخطاب اللغوي أظهر فساد الأنظمة السياسية ومحاولتها تدجين شعوبها، ومحو هويتهم. في دراسة مجدولين المساعفة، أشارت ضمن أهمية البحث إلى دراسة اللغة، وقد عولت عليها لأن كما تقول "تمظهر الديستوبية في اللغة أكثر من غيرها في

العناصر السردية الأخرى"،[106] وأيضًا لأن أهمتها "تكمن في أنها وسيلة للتأثير على الجمهور، وليس فقط وسيلة للتعبير عن المعاني والمفاهيم"، ومع هذا فعندما تناولت هذه الجزئية لم تفسح لها سوى فقرة تحت عنوان كبير: "أهم مظاهر الرواية الديستوبية العربية"، وأشارت إلى دورين مهمين للغة في الرواية الديستوبية، أولهما: وسيلة للتعبير عن العوالم الديستوبية المختلفة، بمظاهرها المتعدّدة، ووسيلة تستخدمها السلطات كآلية للسيطرة والتحكم والتنميط وإدماج الناس في الأنظمة الشمولية المختلفة"[107]، دون أن تقدّم تأكيدات على رؤيتها في ضوء الرواية نموذج البحث.

فإذا كانت اللغة في روايات الديستوبيا الغربية سعت إلى محو الشخصيات، وإعلاء شخصية الأخ الكبير (جورج أورويل) أو المُحسن (يفجيني زامياتين)، باعتمادها على الأجهزة التكنولوجية، فإنها في روايات السجن العربية عملت اللغة على سحق الشخصيات، وتقزيمها، فلنتأمل صيغة الخطابات في رواية "**رحلة إلى الله**" لنجيب الكيلاني، فعطوة الملواني يرى نفسه "**فوق البشر**"،[108] كان عطوة الملواني مدير السجن الحربي يؤكد أن كلبتهم أهم لديه من مائة سجين فيقول: "**توسكا برقبتك ورقبة مائة من أمثالك**"،[109] وفي رواية "**السرداب رقم 2**" ليوسف الصائغ، آمر السجن يقول للسجناء: "**أنتم أقل من الحيوانات**".[110]

15. ثمة تناقض بين مفهوم الديستوبيا في الأدبيات الغربية والتداول العربي، فالديستوبيا إلى جانب أنها فرع من أدب الخيال العلمي، إلا أن بعضًا من هذه الكتابات العربية جسّدت القضايا المتعلّقة بالطبقة المهمّشة، ومن ثمّ حملت في بنيتها نقدًا سياسيًّا اجتماعيًّا لهذا الواقع، وما أفرزه من بيئات اجتماعية فقيرة، فركزت المرويات على نتائج هذا الخراب السياسي، عبر إبراز صور الواقع الأرضي أو "**واقعية القاع القذرة**"، بما يتسم به من فقر وجنس ومخدرات وغيرها، فكثير من الروايات العربية التي تمّ إدراجها ضمن روايات الديستوبيا تصور بيئات اجتماعية غاية في السوداوية تُعاني فساد السياسة، ومن هذه الروايات "**يوتوبيا**" لأحمد خالد توفيق، فطبقة الأغيار تعيش مثل هذا الواقع، وبالمثل رواية ياسمينة صالح "**وطن من زجاج**"، وروايات: "**وحدها شجرة الرمان، ويا مريم**" لسنان أنطوان، "**هواء قليل**" لجنان جاسم حلاوي، و"**نجمة البتاوين**" لشاكر الأنباري. و"**أورويل في الضاحية الجنوبية**" لفوزي ذيبان.

16. غياب رواية اليوتوبيا والديستوبيا النِّسْوية على عكس الرواية الغربية التي قدمت المرأة إسهامًا كبيرًا فيها، بدءًا من رواية مارجريت كافينديش "**العالم المحترق**" (1666) التي تعد إحدى أوائل الأعمال الأدبية التي تصوّر عالمًا منفصلاً يمكن الوصول إليه عبر القطب الشمالي، مرورًا بالكاتبة مارجريت أتوود ورويتها "**حكاية الجارية**" (1985) التي تصوّر عالمًا تحكمه دولة دينيّة متطرفة،

وتطرد في روايتها سمات الرواية الديستوبية حيث الاستغلال بغسل الدماغ والسيطرة الجنسية، وصولاً إلى الكاتبة الأرجنتينية **"أجوستينا بانتيريكا"** صاحبة رواية **"جثة لذيذة"** (2017)، وهي رواية كابوسية حيث تقرر الحكومة بعد انتشار وباء بسبب أكل اللحوم ينتقل إلى البشر ويسبب في وفاتهم، فتقرر الحكومة إبادة الحيوانات لمواجهة الأزمة، فيحتال بعض البشر نتيجة احتياجهم إلى البروتين إلى أكل أفراد المجتمع وتحديدًا من الفقراء والمهمشين، فتلجأ الحكومة إلى تربية "رؤوس بشرية" معدّلة جينيًّا لسد الفراغ الذي خلفه غياب الحيوانات.

17. مصادر الدراسات والبحوث والكتب مع الأسف غير أصيلة، فلا ترجع إلى جمهورية أفلاطون، أو يوتوبيا توماس مور، حتى الروايات الأجنبية كنحن وعالم شجاع جريء وغيرها، اعتمد الباحثون على ملخصات لها، دون الوقوف على المتون، إضافة إلى الاعتماد على كتب نقدية لا علاقة لها بالموضوع كمحمد غنيمي هلال، وغيره من كتاب لم يتطرقوا لفكرة الديستوبيا ولم يرسموا معالم النصوص وشخصياتها.

18. بالمقارنة بين تجليات مظاهر الديستوبيا في السرديات الغربية والعربية يمكن ملاحظة الفروق الآتية، فجريجوري كلايس (Gregory Claeys) حصر خمس موضوعات رئيسية لروايات الديستوبيا الغربية هي كالتالي:

1. ظهور العصر النووي وإمكانية التدمير الكامل الذي ينطوي عليه 2. التهديدات البيئية مثل تغير المناخ وزيادة عدد السكان. 3. الطبيعة الطاغية للآلات، ما يؤدي إلى فقدان الفردية والحرية. 4. الانحطاط الثقافي للمجتمعات الليبرالية غير الشمولية الناجم عن الانغماس المفرط في إشباع الغرائز. 5. القلق الناجم عن الإرهاب.

أما بالنسبة لمظاهر الديستوبيا في السرديات العربية تم حصرها في معظم الأبحاث في النقاط الآتية:

أ. الموت.

ب. العنف.

ت. الفساد الأخلاقي

ث. الفوضى

ج. موت الموت

ح. الاستغلال الجنسي

خ. التزييف، الوعي عبر اللغة على نحو ما ظهر عند جورج أورويل في "مزرعة الحيوانات، و1984"، وعبر الأجهزة التكنولوجية كالتليفزيون كما في نموذج برادبوري.

د. مدينة طوباوية في قاع البحر من أجل الفرار من حياة صعبة على الأرض.

وبمقارنة الموضوعات يتضح أن السردية العربية ما زالت تعيد اجترار موضوعات الديستوبيا الغربية التي كتبت في فترات لاحقة، متغافلة الأخطار الناتجة من الإفراط في استخدم التكنولوجيا، وصراع الإنسان مع البيئة، وغيرها من أمور لها أصداء واسعة في كافة حقول المعرفة في الغرب.

6-خاتمة:

سعت الدراسة منذ سؤالها الافتراضي إلى معرفة كيفية تلقي خطاب الديستوبيا في الثقافة العربية، وتحديدًا على مستوى الاستجابة النقديّة، خاصة بعد التوسع في انتشار الأعمال المُعبّرة عن المفهوم بعد أحداث الربيع العربي. وقد وضعت لنفسها استراتيجية البحث على محورين؛ الأول عبر تلقي الكتابات النقدية في صورة الكتب المستقلة، والثاني، من خلال الدراسات النقدية التي أخضعت نصوصًا بمفردها أو بالمقارنة مع غيرها للتحليل، واكتشاف الملامح والسمات، وبعد اختبار العينات (سواء الكتب، أو الدراسات) التي اتخذتها الدراسة آلية للبحث، والفحص، خلصت الدراسة إلى بعض النتائج المهمة، أن معظم الدراسات بنوعيها، توقفت عند مفهوم الديستوبيا المتعلّق بروايات المستقبل، أو تلك التي تطرقت للآثار السلبية لسياسات القمعية، وهو ما يشير إلى أن المفهوم حُصر في سياق واحد، على عكس التناول الغربي للمفهوم الذي انطلق من القمع السياسي إلى آفاق أرحب حيث الإفراط في استخدام التكنولوجيا وتأثيرها على الإنسان، وأيضًا التغيرات المناخية والبيئية، وهو الأمر الذي لم يلتفت إليه الخطاب الروائي الذي جعل الديستوبيا محورًا له.

اتكأ التلقي العربي على المفهوم الغربي، بما في ذلك تحرير المصطلح، دون القدرة على صياغة مفهومها الخاص، كما أن الدراسات في تعاملها مع روايات الديستوبيا، لم تبعد عن مقولات نظرية الرواية التقليدية، دون أن تبحث عن خصوصية أنتجتها الرواية الديستوبية العربية، وهو ما يكشف عن بون شاسع بين التداول الغربي والعربي للمفهوم سواء على مستوى الأعمال الإبداعية، أو التلقي النقدي.

تؤكد الدراسة على ضرورة توسعة المفهوم ليشمل روايات السجن، باعتبار السجن وما يعانيه إنسانه من قهر وسحق للذات، ديستوبيا لا تقل ضراوة عن ديستوبيا السلطة الديكتاتورية، كما إن السجن هو إفرازات الدولة البوليسية، وعلى النقد أن يستدعي أحكامه وفق ما يستنتجه من النصوص، لا يطبق عليها نظريات لا تتناسب مع طبيعة الديستوبيا قصرًا، وهو الأمر الذي انعكس على الدراسات جميعها، فلم تكن بقدر الرهان الذي غامرت فيه روايات الديستوبيا، مع التحفظ على التيمات التي عالجتها.

الهوامش

[1] Dr Öğr. Üyesi, Recep Tayyip Erdoğan Üniversitesi. Arap Dili ve Belagati, e- posta: mamdouh.farrag@erdogan.edu.tr, ORCİD İD: 0000-0002-7521-0171

ناقد وأكاديمي مصري، يعمل في كلية الإلهيات، بجامعة رجب طيب أردوغان، بتركيا، صدر له العديد من المؤلفات منها: رواية السيرة الذاتية، والسيرة الذاتية سؤال الوجود، ونجيب محفوظ الذاكرة والنسيان، واسترداد طه حسين، والبلاغة العمياء دراسة في النص الرحلي عند طه حسين، والجغرافيا المتخيلة، كما فاز بجوائز عديدة مثل: جائزة الشارقة، وجائزة طه حسين، وإحسان عبد القدوس، وجائزة كتارا في الدراسات النقدية، وجائزة ابن بطوطة في أدب الرحلة.

[2]. أحمد خالد توفيق، **خيال علمي عربي، هل هو خيال علمي؟** مجلة العربي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 624، نوفمبر 2010م.

[3]. ديفيد سِيد: "**الخيال العلمي: مقدمة قصيرة جدًّا**": ترجمة: نيفين عبد الرؤوف، مراجعة: مها عبد المولى أحمد (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ط 1، 2017)، ص 120.

[4]. طه وادي: "**الرواية السياسية**" (القاهرة: أدبيات، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، سلسلة أدبيات، ط 1، 200)، ص 7.

[5]. حمدي حسين: "**الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر 1965- 1975 م**"، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط 1، 1994)، ص 18.

[6]. سعيد علوش: "**معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: عرض وتقديم وترجمة**" (بيروت: دار الكتاب اللبناني، الدار البيضاء: سوشبريس، ط أولى، 1985)، ص 104.

[7]. حسين: "**الرؤية السياسيّة**"، ص 20

[8]. حسين مروة: "**علاقة السياسة والأدب في المجتمع العربي"الموقف الأدبي، دمشق، سوريا، اتحاد كتاب العرب، ع 171، 1985**، ص 18.

[9] سيد حامد النساج "**بانوراما الرواية العربية الحديثة** "(القاهرة: دار غريب، ط 2، 1985)، ص 332.

[10]. سعد البازعي وميجان الرويلي: "**دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًّا معاصرًا**"، (الدار البيضاء - المغرب: المركز الثقافي العربي، ط ثالثة، 2002)، ص 203.

[11]. نائل الطوخي: "**الخروج من البلاعة**" (القاهرة: دار الكرمة للنشر، ط 1، 2018).

[12]. كمال الرياحي: "**البيريتا يكسب دائمًا**" (ميلانو - إيطاليا: دار المتوسط للنشر، ط 1، 2019).

[13]. فوزي ذبيان : "**أوروبل في الضاحية الجنوبية**" (لبنان: دار الآداب، ط 1، 2017).

[14]. سِيد: "**الخيال العلمي**"، ترجمة: نيفين عبد الرؤوف، ص 73.

[15]. أفلاطون: "**الجمهورية**"، ترجمة ودراسة: فؤاد زكريا (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، 1985)، فقرة: 338 - 3393.

[16]. مراحل التعليم المقصودة ثلاث: **الأولى الموسيقى والدراسات الأدبية، والتربية البدنية**، فالتربية البدنية لتربية الجسم والدراسات الأدبية لتهذيب النفس، والموسيقى تدل على التناغم، وتؤدي إلى حب الجمال، والثانية هي: الرياضيات والعلوم، وخص ما تمتاز به الرياضيات لما تمتاز به الرياضيات من كونها دراسة عقلية مجردة، لكونها

تهيء النفس للصعود إلى عالم المُثل، وتدفع العقل إلى الابتعاد عن عالم المحسوسات والاقتراب من عالم المعقولات، راجع، أفلاطون: **"الجمهورية"**، ترجمة ودراسة: فؤاد زكريا، ص 472.

[17]. أفلاطون: **"الجمهورية"**، ترجمة ودراسة: فؤاد زكريا، ص 473.

[18]. ماريا لويزا برنيري. **"المدينة الفاضلة عبر التاريخ"**، ترجمة: عطيات أبو السعود، مراجعة: عبد الغفار مكاوي (الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع 225، سبتمبر 1997)، ص 7 .

[19]. عنوان الكتاب الأصلي عندما نشر هكذا: **"كتاب مفيد وممتع حقًا عن الحكومة المثلى والجزيرة الجديدة المسماة يوتوبيا"** عام 1516 في لوفان (ترجم أول مرة عام 1974 عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، بترجمة: إنجيل بطرس سمعان، القاهرة). بصفة عامة تدور أعمال مور "المقطوعات اللاذعة (الأبيجرامات)، وتاريخ ريتشارد الثالث، ويوتوبيا، حول محور واحد هو" نقد الإرهاب والاستبداد والظلم وجشع الحكام، ولهذا التجأ مور إلى كتابة عمل أدبي وترك التاريخ كي يقدم وصفًا لدولة خيالية يختلط فيها الجد بالدعابة ولا يمكن أن يعد دليلاً قاطعًا على محاولته النيل من الحكام والملوم، وإن كان الهدف منه (مهما كان مقنعًا) لا يمكن أن تخطئه العين، ولعل ذلك هو السبب (كما تقول إنجيل بطرس سمعان) في أنه طبع "يوتوبيا" في لوفان وباريس وبال، قبل أن يطبعها في إنجلترا، ص 26.

[20]. سِيد: **"الخيال العلمي"**، ترجمة: نيفين عبد الرؤوف، ص 73.

[21]. أحمد خالد توفيق، **خيال علمي عربي، هل هو خيال علمي؟**

[22].مع الأسف أن المثالية التي بدت عليها جمهورية أفلاطون، كانت تُبطن مثالبًا أخذت عليها، فمنتقدو مدينته الفاضلة أخذوا عليه أنه لم يضع حدًّا لمراقبة سلطة الحكام التي في نظرهم مطلقة، فكما يقول اللورد أكتون: "إن السلطة المطلقة مفسدة"، وكذلك لم يهتم فيها بأمور العمال والصناع والتجار، فقد أولى اهتمامًا كبير لطبقتي الحكام والحراس، بل وصل الانتقاد إلى هذه المدينة، بوصفها مدينة خالية من الحرية، فإلى جانب اعتباره من أعظم الثوريين في بعض النواحي، يعد على الجانب المقابل أكبر الرجعيين، بل حسب وصفهم يعد ممثلا للنزعة الشمولية، ومرجع هذا لغياب الحرية في دولته، راجع، لويزا برنيري **"المدينة الفاضلة"**، ترجمة: عطيات أبو السعود، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص 53 وما بعدها.

[23]. لويزا برنيوي: **"المدينة الفاضلة"**، ترجمة: عطيات أبو السعود، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص 383.

[24]. تتبدى الديستوبيا داخل الجمهورية في وجود شرائح من المجتمع ستمثل لهم هذه المدينة وهذا الشكل من القوانين ديستوبيا خالصة. راجع: الكتاب الخامس والسادس والسابع "نظم الدولة المثلى، وحكم الفلاسفة"، ضمن كتاب، أفلاطون: **"الجمهورية"**، ترجمة ودراسة: فؤاد زكريا، ص 321 وما بعدها.

[25]. فتوماس مور قدّم إلى جوار الصورة البراقة المثالية لدولته، قدم على الجانب الموازي صورة قاتمة لمساوئ العصر الذي عاش فيه، وشخّص عيوب نظامه والحياة الاجتماعية فيه، راجع توماس مور: **"يوتوبيا"**، ترجمة: أنجيل بطرس سمعان، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب (طبعة مزيدة منقحة)، ط 2 1987)، ص 14.

[26]. عبد الله إبراهيم: **"السيرة العربية وتفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة"** (المغرب: المركز الثقافي العربي، ط 1، 2003)، ص 68.

[27]. إبراهيم، **السردية العربية**، ص 69.

[28]. لويزا برنيوي: **"المدينة الفاضلة"**، ترجمة: عطيات أبو السعود، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص 315.

[29]. أحمد خالد توفيق، "**خيال علمي عربي، هل هو خيال علمي؟** ".

[30]. سِيد: **"الخيال العلمي"**، ترجمة: نيفين عبد الرؤوف، ص 82.

[31]. سِيد: **"الخيال العلمي"**، ترجمة: نيفين عبد الرؤوف، ص 79.

[32]. يفجيني زامياتين: **"نحن"**، ترجمة: يوسف حلاق (الدمام - المملكة العربية السعودية، أثر، ط 1، 1437 / 2016).

[33]. زامياتين: **"نحن"**، ترجمة: يوسف حلاق، ص 14.

[34]. قدمت الرواية اكتشافًا مبكرًا لما يعرف الآن في الطب بأطفال الأنابيب، فالقصة تتخيل أن إنسان المستقبل سوف يتناسل لا عن طريق الالتقاء الطبيعي بين الرجل والمرأة، وإنما عن طريق تكوين الأطفال داخل قوارير بأسلوب علمي، صدرت ترجمة الرواية إلى العربية عام 1947 بعنوان "**العالم الطريف**"، ترجمة محمود محمود عن دار الكاتب المصري، وهناك ترجمة أخرى لمروة سامي بعنوان "**عالم شجاع جديد**"، عن دار الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع، 2016 في 352 صفحة..

[35]. جورج أورويل: **"السياسة واللغة الإنكليزية"**، ترجمة: عدي الزغبي، الجمهورية، عدد 22 حزيران 2017، على الرابط الآتي ///

/https://aljumhuriya.net/ar/2017/06/22/38285

[36]. مصطلح أورويلي Orwellin، يطلق على اللغة أو الكلام الذي يمارس التلاعب والتزييف، كما يُطلق على العالم الذي تسوده ديكتاتورية قهرية مضلّلة. راجع، عماد عبد اللطيف: **"تحليل الخطاب السياسي: البلاغة، السلطة، المقاومة"** (عمان - الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، 2020)، ص 130.

[37]. عبد اللطيف: **"تحليل الخطاب السياسي"**، ص 131.

[38]. سِيد: **"الخيال العلمي"**، ترجمة: نيفين عبد الرؤوف، ص 87.

[39]. يمكن الرجوع إلى بحث **"نقد البلاغة السياسية: منظور روائي"**، حيث يستعرض آليات الإدماج التي استخدمتها السلطة، مستعينة باللغة، كالنصوص الطقسية، مثل نشيد الثورة "يا حيوانات العالم اتحدوا"، وصياغة عالم متخيل لا يوجد إلا داخل اللغة، بوصفه العالم الحقيقي، عبر استعمال **التلطيفات اللغوية**، وتسمية الأشياء والأشخاص أو إعادة تسميتها، وغيرها من آليات كانت اللغة هي الأداة الأساسية في عملية الإدماج وإخضاع الجماهير لسلطة الديكتاتورية الجديدة، راجع، عبد اللطيف: **"تحليل الخطاب السياسي"** ص : 131- 138.

[40]. لويزا برنيوي: **"المدينة الفاضلة"**، ترجمة: عطيات أبو السعود، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص 381 (بتصرف).

[41]. نظرًا لاقتصار الدراسة على تلقي الدستوبيا في الثقافة العربية، ثم استثناء بعض الدراسات التي قام بها بعض الباحثين الإيرانيين على الرغم من أنها قدمت مقاربات على أعمال روائية، ومن هذه دراسة: فاطمة برچگانی: **"الديستوبيا (المدينة الفاسدة) في الرواية العربية المعاصرة، قراءة في رواية "أورويل في الضاحية الجنوبية" لفوزي ذبيان"**، مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي، جامعة آزاد الإسلامية، إيران، عدد 29، 2018، وكذلك دراسة: جاسم نكارش (وآخرون): **"تمظهرات الديستوبيا في الرواية العراقية الحديثة: رواية يا مريم للروائي سنان أنطوان أنموذجًا"**، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد 61، شتاء 1200ه.ش / 2022 م.

[42]. عندما أصدر الكتاب المؤلف عن دار كنوز الأردنية، قام بضم محتويات الكتاب ضمن سياق الكتاب الجديد **"متخيل (الديستوبيا) في الخطاب الروائي"** وتحديدًا في الجزء الثاني المتعلّق بالخطاب الروائي العربي.

[43]. أصل الكتاب رسالة ماجستير قدمت لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، عام 2022، تحت إشراف: علياء ساريا، وبمناقشة: علاء أبو زيد، وأنور مغيث. عنوان الرسالة هكذا: "**اليوتوبيا والديستوبيا في روايات أحمد خالد توفيق**".

[44]. نجدي عبد الستار في كتابه: "**الديستوبيا الروائية... المفهوم، الأنواع، الوظائف**" (القاهرة: دار النابغة للنشر والتوزيع، ط1، 2020.

[45]. عبد الستار: "**الديستوبيا الروائية**"، ص25.

[46]. عبد الستار: "**الديستوبيا الروائية**"، ص 33.

[47]. نجدي عبد الستار: "**تشكيل الشخصية في الرواية الديستوبية**"، المجلة العربية / مداد، المجلد الرابع، العدد 9، أبريل 2020، ص 46.

[48]. عبد الستار: "**تشكيل الشخصية**"، ص 48/ أبريل 2020.

[49]. عبد الستار: "**تشكيل الشخصية**"، ص 55/ أبريل 2020.

[50]. عبد الستار: "**تشكيل الشخصية**"، ص 69/ أبريل 2020.

[51]. سيد حامد النساج: "**اتجاهات القصة المصرية الحديثة** "(القاهرة: دار المعارف، د.ت. 1977)، ص 143.

[52]. محمد غنيمي هلال: "**النقد الأدبي الحديث**" (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ص 2011)، ص 572.

[53]. محمد ربيع: "**عُطارد** "(لبنان - بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ط 1، 2015).

[54]. عبد الستار: "**تشكيل الشخصية**"، ص 57 / أبريل 2020.

[55]. سعود السنعوسي: "**فئران أمي حصّة** "(لبنان - بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ومنشورات ضفاف، ط 1، 2015).

[56]. عبد الستار: "**تشكيل الشخصية**"، ص 59 / أبريل 2020.

[57]. راجع المفاهيم الأساسية التي تناولت فيها مصطلحات: أدب الخيال العلمي، واليوتوبيا، والديستوبيا، والرواية السياسية، ورواية القاع .

[58]. أوقد أرجعت أنجي خالد أحمد هذه العوامل إلى أسباب عديدة منها التطورات اللاحقة في الاكتشافات الجغرافية، والعثور على قارات جديدة، وسواحل مجهولة، والإنجازات العلمية الخارقة، والتقدم في الجوانب الفنية، علاوة على الثراء الذي تمتعت به بعض البلدان، وهو ما أشاع النزعة الفردية الإنسانية، وسيادة عدم العدالة والمساواة، وانتشار الرأسمالية المادية وتردى الأوضاع الاقتصادية للعمال، وغيرها، راجع: "**اليوتوبيا والديستوبيا**"، ص 11، 12.

[59]. أحمد، "**اليوتوبيا والديستوبيا**"، ص 8.

[60]. أحمد، "**اليوتوبيا والديستوبيا**"، ص 9.

[61]. أحمد، "**اليوتوبيا والديستوبيا**"، ص 8.

[62]. أسماء إبراهيم حسين: "**الرواية الديستوبية المصرية: مظاهرها، ولغتها**"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنات بدمنهور، ع 5، ج 3، 2020.

[63]. إبراهيم حسين: "**الرواية الديستوبية المصرية**"،2020، ص 764.

[64]. إبراهيم حسين: "**الرواية الديستوبية المصرية**"،2020، ص 764.

[65]. إبراهيم حسين: "**الرواية الديستوبية المصرية**"،2020، ص 775.

[66]. إبراهيم حسين: "**الرواية الديستوبية المصرية**"،2020، ص 764.

[67]. إبراهيم حسين: "**الرواية الديستوبية المصرية**"،2020، ص 825.

[68]. إبراهيم حسين: "**الرواية الديستوبية المصرية**"،2020، ص 825.

[69]. في تناول مجدولين المساعفة لعنصر اللغة في دراستها تقول: "للغة في الرواية الديستوبية دوران رئيسان؛ حيث استخدمت اللغة كوسيلة للتعبير عن العوالم الديستوبية المختلفة بمظاهرها المتعددة، كما استخدمت كشخصية رئيسة فاعلة في الخطاب السياسي داخل السرد؛ وهو الصورة المنعكسة للواقع من حيث توظيف السلطات للغة كوسيلة للسيطرة والتحكم والتنميط، وإدماج الناس في الأنظمة الشمولية المختلفة، لذا فقد اعتمدت على المنطق غير الصوري الذي يعتمد على في الأساس على المغالطات بأنواعها،..." راجع، " **الديستوبية في الرواية العربية المعاصرة "المدينة الفاسدة": قراءة في رواية "في ممر الفئران"، مجلة جرش للبحوث والدراسات، جامعة جرش، المجلد 23، العدد الثاني ، تموز، 2022**،، ص 2174.

[70]. إبراهيم حسين: "**الرواية الديستوبية المصرية**"،2020، ص 852.

[71]. غادة طوسون: "**الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد بين ألدوس هكسلي وإبراهيم نصر الله (دراسة مقارنة)**"، **حولية كلية اللغة العربية بجرجا، ع 25، الجزء 10، 2021، ص 9573.**

[72]. طوسون: "**الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد**"، **2021، ص 9572.**

[73]. طوسون: "**الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد**"، **2021، ص 9573.**

[74]. وبعد هذا الاستعراض تجمل الدوافع في الآتي:1. اتفاق الروايتين على تقديم رؤية قاتمة للواقع من خلال نماذج بشرية تخيلية تسعى لهدم المدن الفاضلة، بمساعدة وسائل تكنولوجية، 2. تجاوز الفنتازيا كافة عوالم الخوف والرعب التي قدمتها السردية من قبل، 3. ما مثله عنوانا الروايتين من علامات سيميائية متقاربة فكلاهما يتحدث عن علاقته بالعالم من منظور خاص، 4. سعى الروايتان إلى إقرار أفكار سياسية واجتماعية واقتصادية تقضي على الحريات، وتمحو الخصوصية الفردية، وتعلي من طبقة على حساب أخرى، وتطمس التاريخ، إلخ... راجع: طوسون: "**الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد**"، **ص 9573، وما بعدها.**

[75]. تتفق غادة طوسون مع مجدولين على المساعفة في اعتبار أن السياقات السياسية والاقتصادية هي أهم الدوافع التي عززت الظاهرة الديستوبية، فمجدولين تقول: "إن المعاناة هي كلمة السر في خلق عالم الديستوبيا، أيا كان نوع المعاناة اقتصادية أو اجتماعية، أو بيئية، أو أخلاقية، أو دينية، أو ثقافية، أو جميعها، ولعل الواقع الذي نعيشه عبر التاريخ الإنساني هو ما عزز بزوغ هذه الظاهرة، والواقع المرير يتمثل بمعاناة الإنسان العربي خاصة وما يعانيه من قمع واستبداد، وغياب الحقوق والحريات، وانتهاكات واسعة لحقوق الإنسان مع تركيز السلطة في يد النخب، أو الأسرة الحاكمة" راجع، المساعفة: "**الديستوبيا في الرواية العربية المعاصرة " مجلة جرش للبحوث، العدد الثاني، تموز، 2022، ص 2173.**

[76]. طوسون: "**الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد**"، **2021، ص 9585.**

[77]. طوسون: "**الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد**"، **2021، ص 9593.**

[78]. طوسون: "**الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد**"، **2021، ص 9597.**

[79]. طوسون: "**الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد**"، **2021، ص 9616.**

[80]. لا تختلف مجدولين على في دراستها عن رواية "في ممر الفئران" لأحمد خالد توفيق، عما ذكر هنا لاستجلاء ملامح الرواية الديستوبية، فعمدت على طرائق تحليل الرواية التقليدية، راجع، المساعفة: **"الديستوبيا في الرواية العربية المعاصرة"، المجلد 23، العدد الثاني، تموز، 2022، ص 2181.**

[81]. طوسون: **"الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد"، 2021، ص 9615.**

[82]. طوسون: **"الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد"، 2021، ص 9617.**

[83]. طوسون: **"الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد"، 2021، ص 9618.**

[84]. طوسون: **"الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد"، 2021، ص 9629.**

[85] محمد أبو المحاسن عصفور: **"معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر** "(القاهرة: دار المصري، ط 1، 1968)، ص 118.

[86] . **Gregory Claeys,** "Dystopia: A Natural History A Study of Modern Despotism, Its Antecedents, and Its Literary Diffractions",OXFORD,UNİVERSİTY PRESS,2017.

[87]. محمد عبد الناصر محمد العنتبلي: **"تجليات الديستوبيا في رواية "السنجة" لأحمد خالد توفيق رؤية تحليلية نقدية"**(حولية كلية اللغة العربية بنين، بجرجا، جامعة الأزهر، العدد 25، 2021، ص 14130. وتلتزم مجدولين المساعفة نفس المنهج في تحليلها لرواية "في ممر الفئران"، وتقول: "يصنف البحث باتباع المنهج الوصفي التحليلي، ويتضح ذلك من خلال دراسة الظواهر الديستوبية، كما هي على أرض الواقع، وانعكاسها في رواية **"في ممر الفئران"**، ووصفها بدقة بدون مبالغة، كما تم ذكر خصائص هذه الظواهر وارتباطها بالظواهر الأخرى راجع، المساعفة: **"الديستوبيا في الرواية العربية المعاصرة"، المجلد 23، العدد الثاني، تموز، 2022، ص 2171.**

[88]. محمود محمد السعيد أبو زهرة: **"ملامح الديستوبيا في رواية يوتوبيا للكاتب أحمد خالد توفيق** (1962 - 2018)" مجلة كليّة اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر، عدد 39، 2020، ص 1009.

محمد العنتبلي: **"تجليات الديستوبيا في رواية "السنجة" لأحمد خالد توفيق رؤية تحليلية نقدية"**(حولية كلية اللغة العربية بنين، بجرجا، جامعة الأزهر، العدد 25، 2021، ص 14130..

[89]. أحمد، **"اليوتوبيا والديستوبيا"**، ص 9.

[90]. زينب عبد الحميد: **"اليوتوبيا والديستوبيا في رواية ما بعد الثورة: دراسة في تشكيلات المصطلح** " مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد 83، العدد 2 يناير 2023، ص 99 وما بعدها.

[91] عبد الحميد الحسامي: **"السرد البصري: تشكيل متخيل الديستوبيا"**(القاهرة: مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، ط 1، 2022)، ص 16.

[92] مونتسكيو: "**روح الشرائع** "، ترجمة: عادل زعيتر، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ط 1، 2007)، ص 84، وما بعدها.

[93] توماس هوبز: "**اللفياثان: الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة** "، ترجمة: دينا حبيب حرب، وبشرى صعب، مراجعة وتقديم: رضوان السيد (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، كلمة، ط 1، 2011)، ص 205 وما بعدها.

[94] رحاب مني شاكر: "**السجان في أدب السجون 1980 - 2008**" (برلين: مجلة الجمهورية الرقمية، ط1، 2020).

[95] من الممكن مراجعة روايتي "**تلك الرائحة**" لصنع الله إبراهيم، و"**حكاية تو**" لفتحي غانم، وكيف أثر السجن في شخصية البطلين، وتبدلت أحوالهما، وصارت تصرفاتهم مرضية تحتاج إلى العلاج النفسي.

[96] ميشيل فوكو: "**المراقبة والمعاقبة ولادة السجن**"، ترجمة: علي مقلد، ومراجعة وتقديم: مطاع صفدي، (لبنان: مركز الإنماء القومي، بيروت، ط 1، 1990)، ص 239.

[97] الوصف المشار إليه لشخصية عادل الخالدي بطل الرواية، الذي تعرض للسجن، وظل عشر سنوات فيه، وصف السجن بأنه "عار"، ومن شدة التعذيب فاضت روحه، راجع، عبد الرحمن منيف: "**الآن هنا، أو شرق المتوسط مرة أخرى " (نيقوسيا: مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، ط1، 1997)، ص 371.**

[98] فوكو: "**المراقبة والمعاقبة ولادة السجن**"، ترجمة: علي مقلد، ومراجعة وتقديم: مطاع صفدي، ص 230 وما بعدها.

[99] باسم خندقجي:" **قناع بلون السماء**" (بيروت - لبنان: دار الآداب، ط 1، 2023)، ص 48.

[100] رضوى عاشور: "**أدب السجون في العالم العربي**" ضمن كتاب: "**أدب السجون**"، تحرير: شعبان يوسف (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، 2014)، ص27.

[101]. أحمد، "**اليوتوبيا والديستوبيا**"، ص 54.

[102] فوكو: "**المراقبة والمعاقبة ولادة السجن**"، ترجمة: علي مقلد، ومراجعة وتقديم: مطاع صفدي، ص 158، وما بعدها.

[103] عبود الشالجي: "**موسوعة العذاب**" (سبع مجلدات)، (بيروت - لبنان: الدار العربية للموسوعات، د.ت)، وفيها يتناول تاريخ التعذيب منذ عهود قديمة إلى العصر الحديث، مفصحًا عن وسائل التعذيب التي ابتكرها الجلادون لتعذيب المتمردين والرافضين لحكمهم، أو حتى المعارضين بالرأي، وهي وسائل شنيعة تكشف عن رؤية شمولية من قبل الطغاة، غرضها التلجيم والتكميم وتربية القطيع الواحد الذي لا يشذ عن السرب مهما حدث.

[104] عاشور: "**أدب السجون في العالم العربي**" ص28.

[105] أبو زهرة: "**ملامح الديستوبيا في رواية يوتوبيا للكاتب أحمد خالد توفيق**"، عدد 39، 2020، ص 1035.

محمد العنتبلي: "**تجليات الديستوبيا في رواية "السنجة" لأحمد خالد توفيق رؤية تحليلية نقدية**"(حولية كلية اللغة العربية بنين، بجرجا، جامعة الأزهر، العدد 25، 2021، ص 14130..

[106]. المساعفة: "**الديستوبيا في الرواية العربية المعاصرة "، مجلة جرش للبحوث، العدد الثاني، تموز، 2022، ص 2171.**

[107]. المساعفة: "**الديستوبيا في الرواية العربية المعاصرة "، مجلة جرش للبحوث، العدد الثاني، تموز، 2022، ص 2174.**

[108] نجيب الكيلاني: "**رحلة إلى الله**"، (القاهرة: للصحوة للنشر والتوزيع، ط 1، 2012)، ص 3، ودائما يوصف الشخص بصفة حيوانية، "هل اعترف هذا الكلب"، ص 40. ومرة أخرى صرخ الضابط: "**ممنوع الكلام يا بيومي يا حيوان**"، ص 68، "كلكم حيوانات..." ص 69. تكلم يا حمار، ص 118، وماذا تنتظر يا جاموسة، ص120.

[109] الكيلاني. "**رحلة إلى الله**"، ص 118.

[110] يوسف الصائغ: "**السرداب رقم 2**"، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة آفاق الكتابة، ط 1، 1997)، ص 78.

8- المصادر والمراجع:

- أبو زهرة، محمود محمد السعيد: "ملامح الديستوبيا في رواية يوتوبيا للكاتب أحمد خالد توفيق (1962 - 2018)"، مجلة كليّة اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر، عدد 39، 2020.
- إبراهيم، عبد الله: "السيرة العربية وتفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة " المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط 1، 2003.(
- أفلاطون: "الجمهورية"، ترجمة ودراسة: زكريا، فؤاد (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 1، 1985).
- أورويل، جورج: "السياسة واللغة الإنكليزية"، ترجمة: الزغبي، عدي، الجمهورية، عدد 22 حزيران 2017، على الرابط الآتي///
- https://aljumhuriya.net/ar/2017/06/22/38285/
- البازعي، سعد، وميجان الرويلي: "دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًّا معاصرًا"، (المركز الثقافي العربي، ط ثالثة، الدار البيضاء – المغرب، 2002).
- برچگانی، فاطمة: "الديستوبيا (المدينة الفاسدة) في الرواية العربية المعاصرة؛ قراءة في رواية "أورويل في الضاحية الجنوبية" لفوزي ذبيان"، مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي، جامعة آزاد الإسلامية، إيران، عدد 29، 2018.
- برنيري، ماريا لويزا: "المدينة الفاضلة عبر التاريخ"، ترجمة: أبو السعود، عطيات، مراجعة: مكاوي، عبد الغفار (عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 225، سبتمبر 1997) .
- توفيق، أحمد خالد: "خيال علمي عربي، هل هو خيال علمي؟" مجلة العربي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 624، نوفمبر 2010م.
- جاسم، نكارش (وآخرون): "تمظهرات الديستوبيا في الرواية العراقية الحديثة: رواية يا مريم للروائي سنان أنطوان أنموذجًا"، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد 61، شتاء 1200ه.ش / 2022 م.
- الحسامي، عبد الحميد: "السرد البصري: تشكيل متخيل الديستوبيا"(مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة، ط 1، 2022).
- حسين، أسماء إبراهيم: "الرواية الديستوبية المصرية: مظاهرها، ولغتها" مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنات بدمنهور، ع 5، ج 3، 2020.
- حسين، حمدي: "الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر 1965- 1975 م" (مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 1994) .
- خندقجي، باسم:" قناع بلون السماء" (دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 1، 2023).
- ذبيان، فوزي : "أورويل في الضاحية الجنوبية" (دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 1، 2017) .
- ربيع، محمد: "عُطارد "(دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، ط 1، 2015).
- الرياحي، كمال: "البيريتا يكسب دائمًا" (دار المتوسط للنشر، ميلانو - إيطاليا، ط 1، 2019) .
- زامياتين، يفجيني: "نحن"، ترجمة: حلاق، يوسف (أثر، الدمام - المملكة العربية السعودية ط 1، 1437 / 2016).

- السنعوسي، سعود: "فئران أمي حصّة "الدار العربية للعلوم ناشرون، ومنشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط 1، 2015).
- سِيد، ديفيد: "الخيال العلمي: مقدمة قصيرة جدًّا": ترجمة: عبد الرؤوف، نيفين، مراجعة: أحمد، مها عبد المولى. (مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط 1، 2017) .
- شاكر، منى رحاب: "السجان في أدب السجون 1980 - 2008" (مجلة الجمهورية الرقمية، برلين، ط 1، 2020).
- الصائغ، يوسف: "السرداب رقم 2" (الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة آفاق الكتابة، القاهرة، ط 1، 1997).
- الطوخي، نائل: "الخروج من البلاعة" (دار الكرمة للنشر، القاهرة، ط 1، 2018) .
- طوسون، غادة: "الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد بين ألدوس هكسلي وإبراهيم نصر الله (دراسة مقارنة)"، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، ع 25، الجزء 10، 2021.
- عبد الحميد، زينب: "اليوتوبيا والديستوبيا في رواية ما بعد الثورة: دراسة في تشكيلات المصطلح "مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد 83، العدد 2 يناير 2023.
- عبد الستار، نجدي: "الديستوبيا الروائية... المفهوم، الأنواع، الوظائف"(دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2020
- عبد الستار، نجدي: "تشكيل الشخصية في الرواية الديستوبية" المجلة العربية / مداد، المجلد الرابع، العدد 9، أبريل 2020.
- عبد اللطيف، عماد: "تحليل الخطاب السياسي: البلاغة، السلطة، المقاومة" (دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط 1، 2020).
- عصفور، محمد أبو المحاسن: "معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر "(دار المصري، القاهرة، ط 1، 1968).
- العنتبلي، محمد عبد الناصر محمد: "تجليات الديستوبيا في رواية "السنجة" لأحمد خالد توفيق رؤية تحليلية نقدية"(حولية كلية اللغة العربية بنين، بجرجا، جامعة الأزهر، العدد 25، 2021.
- العنتبلي، محمد: "تجليات الديستوبيا في رواية "السنجة" لأحمد خالد توفيق رؤية تحليلية نقدية"(حولية كلية اللغة العربية بنين، بجرجا، جامعة الأزهر، العدد 25، 2021.
- علوش، سعيد: "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: عرض وتقديم وترجمة" (دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبريس، الدار البيضاء، ط أولى، 1985) .
- فوكو، ميشيل: "المراقبة والمعاقبة ولادة السجن"، ترجمة: مقلد، على، ومراجعة وتقديم: صفدي، مطاع، (مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ط 1، 1990).
- مجموعة كتاب: "أدب السجون"، تحرير: يوسف، شعبان (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 1، 2014).
- المساعفة، مجدولين " الديستوبية في الرواية العربية المعاصرة "المدينة الفاسدة": قراءة في رواية "في ممر الفئران"، مجلة جرش للبحوث والدراسات، جامعة جرش، المجلد 23، العدد الثاني، تموز، 2022.

- مونتسكيو: "روح الشرائع "، ترجمة: زعيتر، عادل (مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط 1، 2007).
- منيف، عبد الرحمن: "الآن هنا، أو شرق المتوسط مرة أخرى" (مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، نوقسيا، ط1، 1997).
- مور، توماس: "يوتوبيا"، ترجمة: سمعان، أنجيل بطرس(الهيئة المصرية العامة للكتاب (طبعة مزيدة منقحة)، القاهرة، ط 2 1987) .
- مروة، حسين: "علاقة السياسة والأدب في المجتمع العربي "الموقف الأدبي، دمشق، سوريا، اتحاد كتاب العرب، ع 171، 1985 .
- النساج، سيد حامد: "اتجاهات القصة المصرية الحديثة "(القاهرة: دار المعارف، د.ت. 1977).
- النساج، سيد حامد: "بانوراما الرواية العربية الحديثة"(دار غريب، القاهرة، ط 2، 1985).
- الكيلاني، نجيب: "رحلة إلى الله" (الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2012).
- هكلسي، ألدس: "عالم شجاع جديد"، دار الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع، القاهرة، 2016.
- هلال، محمد غنيمي: "النقد الأدبي الحديث (دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط 6، 2000).
- هوبز، توماس: "اللفياثان: الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة "، ترجمة: حرب، دينا حبيب، وصعب، بشرى، مراجعة وتقديم: السيد، رضوان (هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، كلمة، أبو ظبي، ط 1، 2011) .
- وادي، طه: "الرواية السياسية" (أدبيات، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، سلسلة أدبيات، القاهرة، ط 1، 2007).